مدونة أبو عبدو

حكايات شارل بِرُّو

جمع وتأليف: الكاتب والشاعر الفرنسي

شارل بِرُّو

ترجمة: الدكتور محمود المقداد

حكايات شارل بِرُّو

حكايات شارل بِرُّو

جمع وتأليف الكاتب والشاعر الفرنسي

شــارل بــِرُّو

ترجمة: الدكتور محمود المقداد

الرسوم الحديثة لـ: أنور الرحبي

الهيئة العامة السورية للكتاب - منشورات الطفل

وزارة الثقافة - دمشق ٢٠١٤م

حكايات شارل برو / جمع وتأليف شارل بـــرو؛ ترجمـــة محمود المقداد؛ رسوم أنور الرجبي .- دمشق: الهيئة العامة السورية للكتاب، ٢٠١٤م .- ٢٥٦ ص؛ ٢٠ سم .

١- ٨٤٣ ف ب ر و ح ٢- العنوان ٣- برو
٤- المقداد

مكتبة الأسد

مقدمة المترجم

لكلِّ شعبٍ من الشعوب في العالم أساطيرُه وخرافاته وحكاياته الشعبية التي يستمتع بها صغاره وكباره، ويستخلصون منها الدروس والعِبَر التي تفيدهم في سلوكهم وحياتهم عموماً. وقد يكون لكل مجموعة من الشعوب المتجاورة أو المختلطِ بعضُها ببعضٍ أساطيرُ وخرافات وحكاياتٌ متقاربة .

ولعلَّ مجموعة الحكايات الشعبية التي جمعها (شارل برُّو) من أفواه النساء العجائز في فرنسا، كانت أول مدوَّنة أوربية تُجْمَع في حيِّزٍ واحد، وتُنْشَر (سنة ١٦٩٧) ، ثم تُتَرْجَم إلى اللغات الأوربية الحية، وخاصَّة الإنكليزية، التي كان لها الفضل الأكبر في هذا الانتشار والذيوع في الأوساط الثقافية الأوربية والعالمية.

ولا شك في أن هذا العمل قد أيقظ في أذهان الأوربيين فكرة الالتفات إلى آدابهم الشعبية الشفوية فيما يعرف بالتراث الشعبي أو (**الفولكلور**) Folklore، وتعود كلمة (فولك) volk، أي: شعب، إلى اللغة الألمانية أصلاً، فأخذوا يدونونه ويهذِّبونه

وينشرونه في بلدانهم، وصارت الشعوب تطَّلِع بذلك على ما عند الشعوب الأخرى من هذا التراث السردي الذي يمثِّل عقلية الناس وخيالهم وطريقة تعبيرهم وتصوُّرهم أو فلسفتهم للأشياء في الحياة والمجتمع والقيم والأخلاق .

ورُبَّمَا لعبت ترجمة (**أنطوان غالاّن**) A. Galland الفرنسية لمجموعة حكايات (**ألف ليلة وليلة**) العربية الغزيرة والشيِّقة، ابتداء من سنة ١٧٠٤، الدور الأسبق في إثارة الاهتمام بالحكايات الشعبية، لأن الأوربيين اطلعوا عليها من خلال ترجمتها هذه، ونقلوها إلى لغاتهم عنها. وقد عزَّزت مجموعة حكايات (**شارل بِرُّو**) هذا الاهتمام.

وقد أصبحت هذه الحكايات جزءاً من الأدب العالمي، وصارت أسماء الشخصيات في هذه الحكايات تجري على ألسنة الناس في كل البلدان. ونحن نعلم أن كثيراً منها تجري على ألسنة القراء العرب، ولكن بشكل غامض عموماً، ولعل حكاية (**سندريلا**) التي وصلت إلينا عن طريق اللغة الإنكليزية أو أفلام الرسوم المتحرِّكة (الكرتون) من أشهرها، حتَّى إن اسم (**سِندريلاّ**) Cinderella في الترجمة الإنكليزية قد غطَّت على اسم (**سَنْدرِيُّون**) الفرنسي لهذه الشخصية، كما سيمرّ بنا لاحقاً، وهما - على أي حال - بمعنى واحد في اللغتين. ومن تلك الحكايات أيضاً

(**اللحية الزرقاء**)، و(**الجميلة في الغابة النائمة**)، و(**القط ذو الجزمة**). وقد رغبنا في تعريف القارئ العربي مباشرة على نصوص هذه الحكايات مترجمةً عن الفرنسية مباشرة حتَّى يكون اطِّلاعه عليها دقيقاً لا لَبْسَ فيه .

كانت مجموعة (**شارل برُّو**)، التي نشرها باسم ابنه بعنوان (**حكايات أُمِّي الإوَزَّة**) ، تحتوي على ثماني حكايات هي[1]:

١ - **اللحية الزرقاء** (La Barbe-Bleue) .

٢ - **الجميلة في الغابة النائمة** (La Belle au bois dormant).

٣ - **السيِّد القطّ** (**أو القطّ ذو الجزمة**) (Le Chat botté) .

٤ - **القبعة الصغيرة الحمراء** (Le Petit Chaperon rouge) .

٥ - **الإبهام الصغير** (Le Petit Poucet) .

٦ - **الجنيّات** (Les Fées) .

٧ - **سِنْدريلاّ** (**أو حذاء الفَرْو الصغير**) (Cendrillon , ou : La Petite Pantoufle de vair).

---

(١) وقد ترجمناها نقلاً عن الموقع الإلكتروني :

(www.alyon.org/litterature/livres/XVIII/esprit-salon/perrault)

٨ - **ريكيه ذو الشُّرَّابة** (Riquet à la houppe) .

وكان (**شارل برِّو**) قد نشر، قبل هذه المجموعة، نشراً منفصلاً وتباعاً، ثلاثَ حكايات شعرية هي[١]:

١ - **مركيزة (سالوس)، أو : صَبْر (غريزليدس)** [وقد سميناها اختصاراً : غريزليدس] (La Marquise De Salusses , ou : La Patience de Griselidis) **(سنة ١٦٩١)** .

٢ - **الأماني التافِهَة** (Les Souhaits ridicules) **(سنة ١٦٩٣)** .

٣ - **جِلْد الحمار** (La Peau d'âne) **(سنة ١٦٩٤)** .

وقد تَمَّتْ إضافة هذه الحكايات الثلاث إلى طبعة (لامي Lamy) سنة ١٧٨١. وقمنا في هذا العمل بترجمة الحكايات الإحدى عشرة معاً في حيِّز واحد اقتداءً بتلك الطبعة، مع تسمية المجموعة باسم (**حكايات شارل برِّو**). والمعلوم أن بعض طبعاتها كانت تُزَيَّن بالرسوم التي تجسِّد شخصية البطل في كل منها.

وقد اهتمّ بعض الأكاديميين بدراسة ما يتعلَّق ببعض حكايات (**شارل برِّو**) ، ومنهم (**آشْليمان**) D. L. Ashliman، الأستاذ سابقاً في جامعة (**بيتسبورغ**) (بولاية بنسلفانيا)University of Pittsburgh،

---

(١) وقد ترجمنا الحكايتين الشعريتين الثانية والثالثة عن الموقع الإلكتروني المذكور في الهامش السابق، أما الحكاية الأولى فنقلاً عن الموقع:
(www.anthologie.free.fr/anthologie/perrault)

وخاصَّة حكاية (**سِندريلاّ**) ، فقام بجمع رواياتها من عدد من بلدان العالم هي (بريطانيا، وفرنسا، وألمانيا، والنرويج، وإيرلندة، واسكوتلندة، وإيطاليا، **وجورجيا**، وصربيا، وروسيا، **وكشمير**، والدانمارك، **وفييتنام**)، وترجمها إلى الإنكليزية ونشرها في الموقع الإلكتروني (www.pitt.edu/~dash/ashliman.html).

فما تفسير هذا الانتشار الواسع للحكاية ؟ هل هو بسبب وجود طبيعة إنسانية واحدة ومتشابهة في خواصِّها وسلوكياتها في كل مكان ؟ أم السبب في هذا الانتشار هو الاتصال والاحتكاك عن طريق الكتب والثقافة والتجارة وحركة الاستعمار ؟ وهل منبع الانتشار واحد أم أنه متعدِّد ؟ وإذا تفهَّمْنا انتشار الحكاية في الدول الأوربية نتيجة غزوات (**نابليون**) لأنحاء أوربا وهو في قمة مجده، في مطلع القرن التاسع عشر، أو نتيجة إعجاب الأوربيين بإنجازاته وإنجازات فرنسا الحضارية، ونتيجة انتشار الثقافة الفرنسية، ومن ضمنها مجموعة (**حكايات شارل برِّو**) ، أو نتيجة انتشار ترجمتها عن الفرنسية مباشرة أو عن ترجمتها الإنكليزية : فما الذي أوصل هذه الحكاية إلى كلٍّ من (جورجيا، وكشمير، وفييتنام) ؟ أَمَّا (**جورجيا**) فيمكن أن نتوقع أن الترجمة الروسية قد دخلتها مع هيمنة النظام السوفييتي عليها، وأما (**كشمير**) فنتوقع أن تكون وصلت إليها عن طريق الترجمة الإنكليزية إبان السيطرة الاستعمارية البريطانية على الهند

الكبرى. وأما (**فييتام**) فوصلت إليها عن طريق الأصل الفرنسي نفسه إبان الاستعمار الفرنسي فيها. ولا نرتاب في أن ما جمع (**آشليمان**) من روايات حكاية (**سِنْدريلاّ**) إنما هو كلُّ ما أتيح له الاطلاع عليه حسب ظروفه، وأنه لم يجمع كلّ رواياتها في بلدان العالم، لأننا قد لا نستبعد أي بلد لم تدخل إليه هذه الحكاية في شكلها المطبوع الفرنسي أو المترجم، أو في شكلها الشفوي، نظراً لاتساع نطاق الاتصال والاحتكاك ووسائلهما اتساعاً لا نظير له في القرنين الأخيرين .

ولكننا نشير، هنا، إلى (**الرواية اليَمَنِيَّة**) لهذه الحكاية، وهي روايةٌ لم يقِف عليها (**آشليمان**) ، وفيها تُسَمَّى سِندريلاّ (**وُرَيْقَةَ الحِنَّاء**)[1]، وهي أغنى وأجمل وأكثر تنوُّعاً وتشويقاً من الرواية الفرنسية لها، ولعل هذه الرواية اليمنية هي الأصل الذي وصل إلى فرنسا، وذاع من هناك إلى البلدان المذكورة آنفاً وإلى غيرها بمرور الزمان وانتشار التأثيرات، وقد تكون وصلت إلى فرنسا عن طريق بعض الرحَّالة، ونحن نعلم من تجربة (**أنطوان غالاّن**) في جهوده حول حكايات (**ألف ليلة وليلة**)، خلال النصف الثاني من القرن السابع عشر، كيف كانت فرنسا

---

(١) انظر للمقارنة نصَّ هذه الحكاية في كتاب : حكايات وأساطير يمنية (جمعها الأستاذ علي محمد عبده)، منشورات دار العودة ببيروت ودار الكلمة بصنعاء، ط١، ١٩٧٨ .

خاصَّة، وأوربا عامَّة، متعطِّشة للجديد من **حكايات** الشرق العربي. ولعلنا نذكر أيضاً أن **(لافونتين)** La fontaine، المعاصرَ لـــ **(شارل برِّو)**، وعدوَّه في الخصومة بين أنصار القديم وأنصار الجديد، كان يستمدّ كثيراً من مواضيع **(أماثيله)** من مصادر شرقية : ففي التمهيد للمجلد الثاني من **(أماثيل مختارة)** Fables choises لـــ**(لافونتين)** يقول الناشر : (إن القسم الأعظم من مواضيع المجلد الثاني يَدِيْنُ للحكيم الهندي **بَيْدَبا** Pilpay) [١]، ويضيف قائلاً: (لقد اكتشفَ [يعني لافونتين] القَصَّاصين الشرقيين، وكان هذا الاكتشاف، بين سنتي ١٦٧٢ و ١٦٧٨، قد أدهشه إلى حدٍّ أنه تخيَّل أن أغلب مواضيعه جاءته من هناك، رُبَّمَا تحت تأثير موضةٍ أدبية[٢].. ورُبَّمَا شجَّعَتْه حكايات الرحَّالة **برنييه**[٣]

---

(١) انظر : أماثيل مختارة للافونتين :

- Lafontaine : Fables choisies , Larousse , Paris , v.II , p.6 .

(٢) ويعني بهذه الموضة إقبال الشعراء والكتاب على التأليف في مواضيع مستمدة من الشرق العربي أو مستوحاة منه، ويسوِّغ هذا التوجُّه هنا بقوله : **(فالجمهور كان يهتمّ بالقصص التركية والعربية)**، ويذكر بعض النماذج، انظر : أماثيل مختارة للافونتين، v.II , pp.6-7 .

(٣) وقد وصفه (نيكيتا إيليسييف) في كتابه : رحلة ألف ليلة وليلة بين الشرق والغرب (وهو قيد الترجمة من قِبَلنا بهذا العنوان) :

- Elisséeff (N.) : Thémes et motifs des Mille et Une Nuits , I.F.D. Beyrouth , 1949 , p.8 .

=

Bernier، فقرأ لافونتين حكاياتٍ شرقية)[١]، ويقول أيضاً إن (من بين الـــ ٨٩ أمثولة في المجلد الثاني : هناك ١٣ مقتبسة بالتأكيد من هذه المصادر.. وهنالك نحو ١٢ أمثولة أخرى لها مظهرٌ شرقي، سواءٌ أكان **لافونتين** قد أخذها عن خرافات منقولةٍ شفوياً أم عن نصوصٍ مجهولة)[٢]. ويقول (لافونتين) نفسه في تمهيده للمجلد الثاني: (وسأقول فقط، عرفاناً بالجميل، إنني أَدِيْنُ بالقِسْم الأعظم منه **لبيدبا** الحكيم الهندي[٣]. فقد تُرجِم كتابه إلى كل اللغات [من السنسكريتية إلى الفارسية، والعربية، واليونانية، والعبرية، واللاتينية، واللغات الرئيسية في أوربا]. وأهلُ البلاد يعتقدون بقوّة أنه أقدم من حكايات **إيزوب**[٤] Esope وأكثر أصالة منه، إن لم يكن إيزوب نفسه تحت اسم لُقْمان الحكيم[٥]. وقد قدَّم لي آخرون مواضيع سعيدة جداً)[٦].

= بأنه كان من جملة رحَّالة كانوا يجوبون الشرق بأمر من الوزير (كولبير) Colbert ويقدِّمون له تقاريرهم عنه. وهذا دليل واضح على أثر هؤلاء الرحَّالة في نقل حكايات الشرق العربي إلى بلادهم ولو شفوياً.

(١) انظر : أماثيل مختارة للافونتين، v.II , p.7 .

(٢) م. ن.

(٣) م. س.، v.II , p.9 .

(٤) وهو كاتب أماثيل يوناني من القرنين السابع والثامن قبل الميلاد .

(٥) يشير بعضهم إلى أن (لقمان) و(إيزوب) هما شخص واحد .

(٦) م.س.، v.II , p.9 وقد يكون هؤلاء الآخرون من الرحالة إلى الشرق العربي.

وإذا كان **(لافونتين)** يقرّ هنا بالفضل لـــ **(بيدبا)** الفيلسوف في كثير من **(أماثيله)**، فلا شك في أن هذا الإقرار بالفضل سينصرف تلقائياً إلى **(عبد الله بن المقفَّع)** إن كنا من مؤيِّدي الرأي القائل – عند كثير من الباحثين المحدَثين وبعض القدماء – إنه كان هو مؤلِّف كتاب **(كليلة ودمنة)** الذي نُقِل إلى أكثر لغات العالم عن أصله العربي وحده، والدليل على ذلك أن الهنود والفرس لم يحتفظوا بنسخة واحدة مما زُعِم أنه أصلٌ هندي أو ترجمةٌ فارسية.

ويكفي أن نذْكُر هنا أن أعمال **(شارل برُّو)** و**(لافونتين)** و**(أنطوان غالاّن)** المتأثِّرة بالشرق قد ظهرت في زمنٍ (كان الجمهور [الفرنسي خصوصاً والغربي عموماً] قد ضَجِرَ فيه من الاستماع إلى آداب اللاتين والإغريق)[1].

ومما قد يؤيِّد أن تكون حكاية **(سندريلاّ)** مقتبسَة من الحكاية اليمنية **(وُرَيْقَة الحنَّاء)** تلك الإشارةُ التي ستمرُّ بنا لاحقاً في **(نبذة عن المؤلِّف)**، وهي قولُ كاتبها **(برُّو)** إن هذه الحكايات (كانت تنحَدِر، **في غالبيتها**، من الفولكلور الشعبي الفرنسي)،

---

(١) انظر كتاب : رحلة ألف ليلة وليلة بين الشرق والغرب لنيكيتا إيليسييف : Elisséeff (N.) : Thémes et motifs des Mille et Une - Nuits , I.F.D. Beyrouth , 1949 , p.8-9 .

ومعنى ذلك أن هنالك **قليلاً** من تلك الحكايات لم يكن من ذلك الفولكلور الفرنسي، وإنما هو منقول عن فولكلور بعض الشعوب الأخرى، ولا يستبعد أن يكون عن فولكلور أهل اليمن مثلاً .

ولا شك في أن وعي العرب لضرورة تتبُّع التراث الشعبي الشفوي قد تفتَّح في القرن العشرين، ولكن بعد ضياع قَدْر لا بأس به من الحكايات الشعبية التي كان يرويها كبار السن، ومن الحكم، والأمثال، والأغاني وغيرها من المجالات القولية، إلا أن إنقاذ ما يمكن إنقاذه منها خيرٌ من البكاء على ما ضاع والندم على ما فات، ولا تزال الفرصة مواتية نسبياً إلى اليوم للقيام بتدوين الأدب الشعبي الشفوي وتوثيقه وتقييده وتهذيبه وتنقيحه وتفصيحه. وهذه دعوة عامة لكل الباحثين القادرين على العمل في هذا المجال لتدارك التقصير الذي ران عليه طويلاً .

وأرجو، في الختام، أن أكون قد وُفِّقتُ في نقل هذه المجموعة القيمة من حكايات الشعوب إلى لغتنا العربية، ليكون فيها إغناءٌ لها من جهة، وإضافةٌ نافعة لمكتبتنا السردية العربية من جهة ثانية. والله وليُّ التوفيق .

دمشق في :
السبت في٧ جمادى الأولى ١٤٣٠هـ
الموافق لـــ ٢ أيار (مايو) ٢٠٠٩م

د. محمود المقداد

نبذة عن المؤلِّف[*]

(شارل بِرُّو) (١٦٢٨-١٧٠٣)

وُلِد **(شارل بِرُّو)** Charles Perrault في باريس، سنة ١٦٢٨، ابناً لعضو باريسي في البرلمان، وكان عضواً في أسرةٍ نافِذةٍ من برجوازية الوظائف المتشرِّبة بـــ**(اليانسينية)**[١] Jansénisme. كان **(شارل بِرُّو)** آخر أربعة إخوة في أسرته امتازوا جميعاً في ظل حكم **(لويس الرابع عشر)**[٢] Louis XIV : فأخوه الأكبر **(بيير)** Pierre

---

(*) ترجمنا هذه النبذة استناداً إلى الأصل الفرنسي في الموقع (poesies.be/ La.Bibliotheque.Virtuelle/Perrault).

(١) اليانسينية : مذهب ديني منسوب إلى اللاهوتي الهولندي (يانسينيوس) (١٥٨٥-١٦٣٨) Jansénius، وكان يقول بفكرتي (الفضل) la grâce و(القَدَر) la presdination. (المترجم) .

(٢) لويس الرابع عشر: يلقب بالكبير وبالملك - الشمس (١٦٣٨-١٧١٥)، كان ملكاً لفرنسا من سنة ١٦٤٣إلى وفاته، وقد تميَّز عهده بازدهار الآداب والفنون. (المترجم)

كان الكاتب الأول لـــ **(كولبير)**[١] Colbert، وقد عمِل شارل برُّو نفسه عشرين سنة في خدمته، مكلَّفاً بالسياسة الفنية والأدبية لـــ**(لويس الرابع عشر)**، ومراقباً عاماً لإدارة أبنية الملك، وعضواً وأمين سرٍّ لمفوَّضيّة النقوش العامة (وهي لاحقاً: أكاديمية النقوش والآداب Académie des inscriptions et belles-lettres). وانتُخِب سنة ١٦٧١ عضواً في (الأكاديمية الفرنسية)[٢] l'Académie française، فكان المبادرَ فيها والزعيم الرئيسي للخصومة بين **(القدماء)** و**(المحدَثين)** .

كان التصوُّر الأدبي، منذ عصر النهضة la Renaissance، يقوم على الشعور بتفوُّق مؤلِّفي العصر القديم[٣] l'Antiquité **(الإغريق واللاتين)**، وكان المِثالُ الجمالي للكلاسية Classicisme

---

(١) كولبير : رجل دولة فرنسي (١٦١٩-١٦٨٣)، وكان منذ سنة ١٦٦١ مفتشاً عاماً للمالية، كما كان من كبار وزراء لويس الرابع عشر ومشجعي العلوم والآداب والفنون. (المترجم)

(٢) الأكاديمية الفرنسية: مَجْمَع يتكوَّن من أربعين عضواً، أنشأه الكاردينال (ريشليو) Richelieu سنة ١٦٣٥، ليضم نخبة العلماء والأدباء والفنانين والكتاب الفرنسين المبدعين في مختلف المجالات. (المترجم)

(٣) العصر القديم: هو العصر الذي يمتد من نشأة الحضارتين اليونانية ثم الرومانية على التوالي إلى سقوط روما بيد البرابرة سنة ٤٧٦م. (المترجم)

يقوم - من بين مبادئ أخرى – على مبدأ تقليد النماذج المشهورة التي لا يمكن تجاوزها للأدب القديم. ومع قراءته قصيدته التي تحمل عنوان **(عصر لويس الكبير)** le Siècle de Louis le Grand، في ٢٧ كانون الثاني (يناير) سنة ١٦٨٧، وهي في تمجيد الملك، وعرَض فيها **(برُّو)** ، أمام أعضاء الأكاديمية، الفكرة التي يحتوي عليها هذان البيتان :

يمكنُنا أن نُشَبِّه، بلا خوفٍ من التَّجَنِّي ،

عصرَ (لويس) بعصرِ (أوغست)[١] الرائع .

انطلقت الخصومة، وتكوَّن معسكرن: مُعسكَرٌ للقدماء على رأسِه **(لافونتين)**[٢] Lafontaine و**(بوالو)**[٣] Boileau، وآخَر

---

(١) أوغست Auguste (أو أوغسطوس) (٦٣ق.م-١٤م) : إمبراطور روماني شهد عصره ازدهاراً في كل مجال، اسمه الحقيقي (أوكتاف) ، وبعد تبني (قيصر) له، أُطْلِق عليه اسم (قيصر الأوكتافي) ، وقد هزم (أنطوان أو أنطونيو) عاشق (كليوباترا) في معركة (أكتيوم) Actium، وبدأ عصر الأباطرة في روما مع لقب (أوغست). (المترجم)

(٢) لافونتين: شاعر فرنسي (١٦٢١-١٦٩٥)، وهو مؤلِّف ديوان (الأماثيل) les Fables. (المترجم)

(٣) بوالو: شاعر وناقد فرنسي (١٦٣٦-١٧١١)، وهو مؤلف (قصائد هجائية) و(الفن الشعري). (المترجم)

للمحدَثين على رأسِه (**بِرُّو**). وقد وسَّع (**بِرُّو**) بعدَ ذلك أُطْرُوحاتِه لصالِح المحدَثين في بحثِه (**مُوازَناتٌ بين القُدَماء والمحدَثين**) (١٦٨٨-١٦٩٦) Parallèles des Anciens et des Mo- dernes، وبحثه (**مشاهير الرجال الذين ظهروا في فرنسا خلال هذا القرن**[١] **مع صورهم الصادقة**) (١٦٩٦-١٧٠٠) les Hommes illustres .

غير أن (**بِرُّو**) لم يكتسب شُهرتَه العالمية المعروفة بهذين البحثين، وإنَّمَا بعَمَلٍ ذي أهمية أقلّ بكثير هو (**حكاياتُ أُمِّي الإوَزَّة** أو **قصصٌ وحكايات من الزمن الماضي**)[٢] (سنة ١٦٩٧) Contes de ma mère l'Oye, ou: Histoires et contes du temps passé، وهي تكوِّن مجموعة من ثماني حكايات عجائبيةٍ من الفولكلور الوطني. وهي حكايات كانت منقولةً في الأساس عن النساء العجائز، وقد تَمَّتْ تغذِيتُها جزئياً بالخيال الوسيطِي[٣] medieval :

---

(١) يعني القرن السابع عشر الذي كان يعيش فيه. (المترجم)

(٢) وقد نَشَرَها أولاً باسم ابنه (بيير برُّو دارمانكور) Pierre Perrault d'Armancour، الذي كان في التاسعة العاشرة من عمره، رُبَّمَا خشيةَ تعرُّضه لنقد شديد لو نشرها باسمه هو، وزعم أن الطبَّاخات الطيِّبات روينها له. (المترجم)

(٣) نسبة إلى العصر الوسيط الأوربي أو القرون الوسطى : وهو يمتَدّ من سقوط (روما) سنة ٤٧٦م إلى سقوط (القسطنطينية) بيد العثمانيين سنة ١٤٥٣م. (المترجم)

الخرافي، والفروسي، والغزلي، وبنصوص حكائية من عصر النهضة الإيطالية، وكانت هذه الحكايات جميعاً غريبةً عن التراث الأدبي للعصر القديم، وكان نشرها قطعةً جوهرية في الصراع الذي واصله (**بِرُّو**) لصالح المحدَثين.

وبوضع (**بِرُّو**) هذه الأقاصيص حسب الأصول، يكون قد دشَّن النوع الأدبي المسمَّى (حكايات الساحرات) ، وهي حكاياتٌ تنتمي إلى (النوع العجائبي) ، وقد أُسِّسَتْ على مخطَّط حكائي لا يتغيَّر. ثم إن أسلوبها البسيط (الساذج) ، ورقَّتها، وكتابتها نثراً، تتطابق جميعاً مع الصورة التي كوّنها المحدَثون عن اللغة الفرنسية، وهي تتناقض مع (النَّزْعة الأكاديمية) l'académisme، والتكلُّف la pédanterie، والفظاظة l'acreté، والجفاء la rudesse، مما نسبوه إلى أنصار القديم، وخاصَّةً (**بوالو**) .

وكان تخصيصُ هذه الحكايات المزعوم للأطفال هدماً للنوع. وفي الحقيقة، كان هذا النهج، الذي دشَّنه (**بِرُّو**)، وأُخِذ عنه في القرون التالية، استجابة لمطمح فِكْرَوِيّ [إيديولوجي] : فقد عُدَّت لغة الحكايات حينذاك لغةَ الحاضنات، ومجازاً اللغة الأم لفرنسا. ولما كانت تنحدِر، **في غالبيتها**، من الفولكلور الشعبي الفرنسي، فإن الحكايات التي كيَّفَها (**بِرُّو**) أدبياً، لا تنتمي - في الواقع -

إلى (**أدب الأطفال**) la littérature enfantine، وإنَّمَا إلى أدبٍ شفويٍّ غير ثابتٍ، وموجَّهٍ إلى الراشدين في المجتمعات الريفية، ونُقِلَتْ لتُقْرَأ في المساء والسهرة.

إن نقل الحكايات إلى الثقافة، المكتوبة والعلمية، تطلَّب عملية تحويل، عميقةً جداً لا يمكن رؤيتها للوهلة الأولى. وفي الحقيقة، مَنْ يعرِفُ اليوم أن (**القبعة الصغيرة الحمراء**) Le Petit Chaperon rouge في رواياتها الشفوية كانت تلتهم لحم جدتها، وتشرب دمها؟! ومن يعرِفُ أن (**سِندريلاّ**) Cendrillon كانت تُلْقِي بالملح في الرماد لتجعلهم يعتقدون أنها مُقَمِّلة حتَّى يتركوها بسلام ؟! إن حكايات (**برُّو**) إنما هي نتيجة نقد خالص جداً لكل العناصر والمواضيع التي يمكن، في روايتها الأصلية، أن تصدم وأن تكون ببساطة غير مفهومة من قِبَل جمهور عالمي. ولكن (**برُّو**) لم يكتَفِ بأن يحذف ما يمكن أن يكون في الحكايات من ابتذال، فغيَّر الحكاية وكيَّفها مع مجتمع عصره، مضيفاً مرايا وأرضياتٍ إلى بيت (**سندريلاّ**)، ومُرْجِعاً أحداث (**الإبهام الصغير**) Le Petit Poucet إلى زمن مجاعة سنة ١٦٩٣. وقد صبغها بالروح الفكاهية، وزيَّن الحكاية بمزحات لاذعة أحياناً، مخصَّصة لعدم

أخذ العنصر العجائبي في الحكايات مأخذ الجِدّ المفرط، معلناً مثلاً أن الغولة في (**الجميلة في الغابة النائمة**) La Belle au bois dormant كانت ترغب في أن تأكل (**أورور**) Aurore الصغيرة في مرقة (**روبير**) Robert، وأن (الأمير وجميلته لم يناما كثيراً) بعد أن التقيا، وكذلك أن جزمة (**القط ذي الجزمة**) Le Chat botté لم يكن مريحاً جداً للسير على قرميد الأسطحة. لقد كان يكيِّف أسلوبه للفكرة التي كان يريد أن يقدِّمها في (**حكايات أُمِّي الإوَزَّة**) ، مكثِراً من التراكيب القديمة والتعابير المهجورة، مستعملاً الحوار، والفعل المضارع للسرد، ولعبة الصِّيَغ التي تُذَكِّر بالأصل الشفوي للحكايات وحيويتها .

ولما قام (**برُّو**) بإدخال العناصر الشعبية للحكاية في النسيج الروائي، وأكثَرَ من الإشارات إلى الشفوية الزائفة من مثل البراءة الكاذبة، غيَّر الحكاية الشعبية بإنجازه واحدةً من روائع (**الأدب العالمي**) la littérature universelle، وأنقذ من النسيان الحكايات التراثية الثماني، فظلَّت إلى اليوم مشهورة، من أمثال : (**الجميلة في الغابة النائمة**)، و(**القبعة الصغيرة الحمراء**)، و(**اللحية الزرقاء**) La Barbe-Bleue، و(**سِندريلاّ** أو **حذاء**

الفرو[1] **الصغير)** Cendrillon ou La Petite Pantoufle de vair، إلخ. وهي تنتقل من جيل إلى جيل، وتُقَصّ على الأطفال منذ قرون .

---

(١) يلاحظ أن المادة التي صُنِع منها حذاء (سِندريلاّ) هي هنا (الفَرْو) vair، وهي (الزجاج) verre، كما سيرد في نص الحكاية نفسها لاحقاً، وبين اللفظين ما يعرف في الفرنسية بالـــ homonymes، أي الألفاظ المتشابهة في النطق والمختلفة في رسمها ومعناها : ككلمات مثل (vin = خمر، وvingt = عشرون، وvain = عبثي) ، ولما كان النص شفوياً في الأصل، فإن وقوع مثل هذا اللَبْس أو الإشكال أمرٌ وارد بطبيعة الحال، وإن كنا نميل إلى أن حذاء (الزجاج) مستقبحٌ هنا، والأقرب إلى الذوق هو حذاء (الفَرْو) (المترجم) .

١

غريزليدس[١]

Griselidis

(١)

في سفوح الجبال الشهيرة
حيثُ يتدفَّقُ نهر الــ (بو)[٢] Pô من تحت نباتات القصَب

---

(١) الترقيمات التي نجدها في هذه الحكاية - القصيدة من وضعنا، وكان النص الأصلي بالفرنسية يترك بين كل فقرة وأخرى فراغاً أو أكثر، وقد توخينا في ملء تلك الفراغات بهذه الترقيمات وضعها في الفراغ المناسب للوحدات المعنوية، والقصد من ذلك تسهيل مطالعة النص، ومراجعته، والإحالة عليه، فجاءت هذه الحكاية-القصيدة مئة فقرة. (المترجم)

(٢) البو : نهر في إيطاليا يصب في البحر الإدرياتيكي طوله ٦٨٠ كم (المترجم) .

وينطلقُ إلى أحضان الأرياف القريبة
لِيُنَزِّه مياهَه الوليدة
كان أميرٌ شابٌ وشجاع
يعيش في خيرات بلاده :
فالسماءُ وهي تكوِّنه أسبغتْ عليه
دُفعَةً واحدةً أندرَ ما عندها
وهذا ما كان يميِّزه عادةً بين أصدقائه
وكانت تعطيه ما لا يُعطَى إلا للملوك الكبار

(٢)

كان مغموراً بكل المواهب في الجسد والروح
فكان قوياً بارعاً جديراً بمهنة (مارس)[١] Mars
وبالفطرة السِّرِّيّة للَّهَب المقدَّس
أحبَّ الأميرُ بحماسةٍ الفنونَ الجميلة
وأحبَّ المعارِكَ كما أحبَّ الانتصارات
والمشاريعَ الضخمةَ والأعمالَ المتميِّزة

---

(١) مارس : إله الحرب عند الرومان، والعبارة كناية عن أهلية هذا الأمير للحرب والقتال. (المترجم)

وكلَّ ما من شأنِهِ إحياءُ اسمٍ جميلٍ في التاريخ
غيرَ أن قلبَه المرهَفَ والنبيل
كان شديدَ التأثُّر بالمجدِ الراسخ
في أن يجعل شعبَه سعيداً

(٣)

وهذا الطبعُ البطوليّ
خيَّمَتْ عليه سحابةٌ سوداء
كئيبةٌ وحزينة
جعلتِ الأميرَ في أعماقِ قلبِه
يرَى الجنسَ اللطيفَ كلَّه خائناً ومخادِعاً

(٤)

فقد كان يرَى
في المرأةِ التي تتألَّقُ فيها أندرُ المزايا
روحاً منافِقَة
وعقلاً مغروراً ثَمِلاً
وعدُوَّاً فَظّاً يَطمَح باستمرار

إلى تحقيقِ سُلطةٍ مُطْلَقة
على الرجُل المسكين الذي يَسْتسلِم لها

(٥)

وكان العُرْفُ السائدُ بينَ الناس
ألاّ يرَى المرءُ سِوَى أزواجٍ مقهورين أو مخدوعين
يُضافُ إليه مظهرُ الغيرة في البلاد
فَزاد هذا أيضاً ذلك الكُرْهَ العميق
وهكذا أقسَم أكثرَ من مرَّةٍ
بأنه حتَّى لو أن السماءَ المفْعَمةَ بالحنانِ عليه
خلقَتْ له (لُوْكريس)[١] Lucrèce أُخرى
فإنه لن يتَّبِع قوانين الزواج أبداً

(٦)

ولما أصبَح الصباحُ انخرَط في أعمالِه

---

(١) لوكريس : سيِّدةٌ رومانية انتحرتْ بعد أن أهانها ابنُ (تاركوان الرائع) Tarquin le Superbe، وهو آخر ملك لروما من سنة ٥٣٤ إلى سنة ٥١٠ للميلاد، وكانت (لوكريس) - فيما يبدو – رائعة الجمال في زمانها حتى بات المثل يضرب بها في ذلك عبر العصور الغربية. (المترجم)

فرتَّب بحكمَة
كلَّ الشؤون الضرورية
التي كانت لصالح الحكومة
كما كانت أيضاً لإسعاد يتيمٍ ضعيفٍ أو أرملَةٍ مظلُومَة
وكان يعمَلُ على حِفْظ القوانين
أو يُلْغِي ضريبَةً من الضرائِب
كانتْ قد فرَضتْها قديماً حرْبٌ مَفرُوضَة
وأما الشطر الثاني من النهار
فكانَ وَقْفاً على الصَّيْد
حيثُ الدِّبَبَةُ والخنازِيرُ البرِّيّة
وهي على ما فيها من ضَرَاوَة وما لها من أنياب
كانتْ أقلّ إفزاعاً له
من الجِنْسِ الفَتّانِ الذي كان يَتَجنَّبُه دوماً

(٧)

وكان رعاياه الذين كانت مصلحتُهم تُلِحّ عليهم
يتمَنَّوْنَ أن يُوفِّر لهم خليفةً له
يَحكُمهم يوماً ما بالرِّفْقِ نفسِه

وأن يُعطِيَهم ابناً يَدعُون له باستمرار

وذاتَ يومٍ جاؤوا إلى القصر جميعاً

ليبذلُوا آخِرَ جُهودِهم معَه

وقام منهم خطيبٌ ذو هيئةٍ رصينَة

وكان أفضلَ الخطَباءِ آنذاك

فقال كلَّ ما يُمكِن أن يُقَال في مناسبةٍ كهذِه

فعبَّر عن رغبتِهم الملِحَّة

في أن يَرَوْا له ذُرِّيّةً سعيدةً

تجعَل دولتَهم مزدَهِرةً إلى الأبَد

وقال وهو يختِم خطابَه

إنه كان قد رأَى نَجْماً يُولَد

من زوجتِه الطّاهِرَة

التي يبدو القَمرُ شاحباً أمامَها

(٨)

وبنغمةٍ أبسطَ وصوتٍ أضعفَ

ردَّ الأميرُ على رعاياه قائلاً :

(إن حَماستَكمُ المتأجِّجَة

التي لم أرَها إلا هذا اليوم

وأنتُم تُحَمِّلونني هُمومَ الزواج

قد سَرَّتْني وكانتْ عندِي

شاهداً طيِّباً على حُبِّكم

وقد تأثَّرتُ بها تأثُّراً ملموساً

وسأحاولُ منذ الغَدِ أن أسعى لإرضائكم

غيرَ أن الزواجَ في رأيِي

يبقَى أشدَّ أمرٍ يَحْذَرُه الرجلُ ويحترِسُ منه

(٩)

لاحظُوا أن جميعَ الفتياتِ ،

ما دُمْنَ في أحضانِ أُسَرِهِنّ ،

لا يُمَثِّلْنَ سِوَى الفضيلَةِ والطِّيْبَةِ

والحياءِ والصِّدق

ولكنْ حالَما يضَعُ الزواجُ قناعَه

ويتحدَّدُ مصيرُهُنَّ

لا يعود يَهُمُّهُنَّ البقاءُ عاقلاتٍ

ويتخلَّينَ عن شخصِيّاتِهِنّ

وتتحكَّم كلُّ واحدةٍ منهن في منْزِلِها كما تشاء

(١٠)

فترى إحداهُنَّ ذاتَ مِزاجٍ حزين لا يُسَلِّيْها شيءٌ
وتصبح تقيَّةً ساخطَة
فتصرُخُ وتُزَمْجِرُ في كلِّ حيْن
وترى واحدةً أُخرَى تتأنَّق متغَنِّجَةً
ولا تكُفّ عن الإصغاءِ أو الثَّرْثَرَة
وتصبح مولعةً جداً بالفنون الجميلَة
وتَحْكُم على كلِّ شيء بكبرياء
وترتدي ثوب متحذلقة
وهي تَنْتَقِدُ أمْهَرَ المؤلِّفين
وترى واحدةً ثالثةً تلعب القِمار
وتَخْسَرُ كلَّ شيء :
المالَ والجواهرَ والخواتمَ والأثاثَ الثَّمين
وحتَّى ثيابَها نفسَها

(١١)

وأمامَ هذا التنوُّعِ في الطرُق التي يسلكنها

ليس هناك سوى أمرٍ واحد

أرى أنهن جميعاً يتفقْنَ عليه

وهو الرغبة في سَنِّ القوانين

وأنا مقتنعٌ تماماً أن المرء

لا يمكن أن يعيش أبداً سعيداً بالزواج

حين يُفْرَض على اثنين

فإن كنتم ترغبون في أن أتزوَّج

فابحثُوا لي عن فتاة جميلة

ليس من صفاتِها الغَطْرَسةُ ولا الغُرور

وتَتَّصِف بالطاعة

والصبر المشهود له

ولسوف أتزوَّجُ بها عندما تجدونَها) [1]

وبعد أن فَرَغ الأمير من خِطابِه الأخلاقي هذا

امتطى صهوة جَوَادِه فجأةً

وانطلَق حتَّى صار يَلْهَثُ

---

(١) وهنا ينتهي خطاب الأمير في شعبه مبيناً رأيه في الصفات التي يكرهها في النساء عموماً، والصفات التي ينبغي توافرها فيمن يحب الارتباط بها خصوصاً. (المترجم)

لِيَلْحقَ بجماعتِه التي كانت تنتظِرُه في السَّهْل

(١٢)

وبعد أن اجتازوا حقولاً وأراضِيَ محروثَة
وجدوا صيّادين نائمين على العُشب الأخضَر
فاستيقظ الجميعُ ونهَضُوا
لِمَا أدخلوا في نفوس نُزَلاءِ الغابات من اضطراب
وتراكَضَتِ الكِلابُ هنا وهناك
وهي تَنْبَح بين القَشِّ اللامِع
وعادتِ الكِلابُ الضخمةُ ذاتُ العيونِ المتوَقِّدَة
قدرَ وُسْعِها إلى أماكنِها
وكان الخَدَم الذين يمسكون بها
يَسْحبونَها وهم يَنظُرُون إليها

(١٣)

ولَمّا أخبره أحدُ أتباعِه
بأن الجميعَ جاهِزون
أمرَ فوراً بأن يبدؤوا بالصَّيْد

فملأتِ الغابةَ أصواتُ الأبواقِ المدوِّيَة
وضَجيجُ الخيلِ الصاهِلَة
والعُوَاءُ الخارِقُ للكلابِ الناشِطَة
بالصَّخَبِ والاضطراب
وبينما كان صدَى هذه الأصواتِ يُضاعِفُها باستمرار
توغَّلُوا إلى أعمقِ أعماقِ هذه الغابة

(١٤)

وأخذ الأميرُ مصادفةً أو قدَراً
طريقاً متعرِّجَة
لم يتْبَعْه فيها أحدٌ من صيَّاديه
إضافةً إلى أنه جرَى وانفصلَ عنهم
فضَلَّ عنهم أخيراً
ولم يعُد يسْمَع ضجيجَ الأبواقِ والكلاب

(١٥)

وكان المكانُ الذي وصل إليه
فاتحاً من الجداول وداكناً من الخضْرة

وكان يُدْخِل في النفوسِ رُعباً غامضاً
وكانت الطبيعةُ البسيطة والساذجة
تبدو فيه جميلةً ونقيَّةً جداً
حتَّى إن الأمير حَمِدَ خطأه هذا ألفَ مرَّة

(١٦)

وشعَرَ فجأةً وهو مُفْعَمٌ بأحلامِ اليَقَظة
التي أوحت إليهِ بها الغابةُ الكبيرة والمياهُ والمرُوج
بالدَّهْشَةِ هو وقلبُه وعيونُه
من الشيء الأعظمِ لطفاً
والأكثر عُذُوبةً والأشدِّ محبَّة
ولم يكن قد رآه من قبلُ تحت السماء

(١٧)

لقد رأى راعِيةً شابّة
كانتْ تسير على حافَّة جدْوَل
وكانتْ وهي تقودُ قطيعَها
تَغزِلُ بِمِغْزَلٍ رشِيْق

بيدٍ ساذَجَةٍ وماهِرَة

(١٨)

لقد كانتْ قادرةً على أن تسيطِر على أقسَى القلوب
لأنها أخذتْ من الزنابِقِ بياضَها
وكانت نضارتُها الطبيعيّة
مَصُونةً دائماً في ظِلالِ الغابةِ الصغيرة
وكان فمُها يستمِدُّ جاذبيَّتَه كلَّها من الطفولَة
وكانت عيناها اللتان تحليهما أهدابٌ سودٌ
أكثرَ زرْقةً من السماء
وكان فيهما أيضاً نورٌ عظيم

(١٩)

دخلَ الأميرُ إلى الغابة بحماسة
وكان يتأمَّلُ في أشكال الجمال الذي تُحِسّ به روحُه
ولكنّ الضجَّة التي أحدَثها عند اقترابِه
من الجميلة لَفَتَتْ نظرَها
ومنذُ أن لَمَحَها بلونِها المضرَّجِ اللامِع

ضاعَفَتِ الحيويّةُ النشِطَةُ والسريعَة
لهيئتِها الجميلةِ من روعتِها
وتغلَّبَ الحياءُ على وجهِها

(٢٠)

وتحتَ هذا الستارِ البريءِ لهذا الحياءِ المحبَّب
اكتشَفَ الأميرُ بساطَة
وعُذُوبَةً وصِدْقاً
كان يعتقِدُ أن الجنْسَ اللطيفَ كان عاجِزاً عنها
وكان هو يراها جميعاً في جمالِها

(٢١)

واقترَبَ وهو ذاهِلٌ وأكثرُ حياءً منها
وقد أخَذَتْه رهبةٌ كانتْ جديدةً عليهِ تماماً
وقال لها بصوتٍ مضطرِب
إنه فَقَد كلَّ أثَرٍ لصيّاديه بالكِلاب
وسألَها إنْ كان قد جرَى أيُّ صَيْد
في مكانٍ ما من الغابة

(٢٢)

ردَّتْ عليه فقالت :

لم يظهَرْ شيءٌ يا سيِّدي في هذه العُزْلَة

ولم يأتِ أحدٌ إلى هنا سِواك

ولكن لا تقلَقْ

فسأدُلُّكَ على طريقٍ معروفة

(٢٣)

قالَ لها : لحسْنِ حظِّي

وأنا عاجِزٌ عن الشكر للآلِهةِ

أنني أغشَى هذه الأماكِنَ منذ زمنٍ طويل

غيرَ أنني كنتُ أجْهَلُ حتَّى هذا النَّهار

ما تحتوي عليه من كَنْزٍ ثمين

(٢٤)

وفي هذه اللحظةِ رأتِ الأميرَ يَنْحنِي

على حافَّة الجدْوَلِ الرَّطْبَة

لِيَرْوِيَ عطَشَه الملتَهِبَ الذي يُلِحُّ عليه

من شدَّة جرْيِه. فقالتْ له :

انتظِرْ يا سيِّدي لحظَة

ثم ركَضَتْ سريعاً إلى كوخِها

وأحْضَرتْ منه طاسَةً

وقدَّمتْها بكلِّ فرحٍ وطِيْبِ خاطِر

إلى هذا العاشِقِ الجديد

(٢٥)

إن الكؤوسَ الثمينةَ من (الكريستال) والعَقيق

حيث يتلألأُ عليها الذهبُ في ألفِ مكان

وقد شكَّله الفنُّ الرائعُ بعناية

لم يكُنْ لها عنده على ما فيها من أُبَّهَةٍ غيرِ مفيدَة

ذاك الجمالُ الذي رآه في هذه الطاسَةِ الفَخَّارِيّة

التي ناولتْهُ إياها هذه الراعِيَة

(٢٦)

ومن أجلِ العُثورِ على طريقٍ سهلةٍ

تُوصِلُ الأميرَ إلى المدينَة

اجتازا غاباتٍ وصُخوراً شديدةَ الانحِدار

وتقاطُعات كثيرة
ولم يكُنِ الأميرُ يدخُلُ في طريقٍ جديدة
من غيرِ أن يتفحَّص كلَّ الأماكِنِ المحيطةِ بها
وكذلك حبيبتُه البارِعَة
ولما كانا يحلمانِ بالعَوْدَة
فقد كانا يصنعانِ لها خريطةً دقيقَة

(٢٧)

وفي غَيْضَةٍ مظلِمةٍ ورَطْبَة
وصلَتْ إليها الراعِيَةُ أخيراً
رأى الأميرُ من تحتِ أغصانِها الكثيفة
في الأُفُق البعيد في حضْنِ السَّهْل
الأسطُحَ المذَهَّبةَ لقصرِهِ الباذِخ

(٢٨)

ولَمَّا انفصَل عن الراعِيَةِ الجميلَة
شَعَرَ بألَمٍ شديد
وبِخُطاً بطيئةٍ ابتعَدَ عنها
وهو مُصابٌ بالسَّهْمِ الذي اخترَق قلَبَه

إن ذِكْرَى مغامرتِه اللطيفَة
قادتْه بسُرُورٍ إلى القصر
ولكنه شَعَر بجرحِهِ في اليوم التالي
فعاشَ مُرْهَقاً من التعاسَةِ والهمّ

(٢٩)

وعندما تمكَّن الأميرُ عاد إلى الصَّيْد
وهناك تَفَلَّتَ من حاشيتِه وتخلَّص منهم
لِيَشْرُدَ بسُرُور
وكان يلاحِظُ الأشجارَ والتِّلالَ ذاتَ القِمَمِ المرتفِعَة
بعنايةٍ كبيرة
وقد هَدَتْهُ النصائح السِّرِيّةُ لحبيبتِه الوفيَّة
على الرغم من أن الطُّرُقَ
ذاتُ تشعُّباتٍ كثيرة
إلى أن وجد منْزِلَ راعِيَتِه الشابّة

(٣٠)

وقد علِمَ أنْ ليس معها سِوَى أبيها
وأنه قد سَمَّاها (غريزليدس)

وأنهما يعيشان بهدوء على حليب نعاجِهما
وأنها تَغْزِلُ الصُّوْفَ وحدَها
من غير الاستعانةِ بالمدينة
فهما يصنعان ملابسَهما بأيديهِما

(٣١)

وحين رآها اضطرَم
بالجمال الروحي في روحها
وعَرَفَ وهو يرى المزيد من المواهبِ العظيمة
أنه إذا كانت الراعيةُ جميلةً جداً
فلأنَّ وَمْضَةً لطيفة
من روحها انتقلتْ إلى عينيها

(٣٢)

وشعَرَ بفرحةٍ عارِمَة
لأنه أحسَن تماماً في وضعِ عواطفِ حبِّه الأولى
وبلا تأخيرٍ مطوَّل قام في اليوم نفسِه
بجمعِ مجلسِ الشورَى وألقَى فيه هذا الخطاب :

(٣٣)

(أخيراً ووَفْقاً لقوانين إلهة الزواج

وبموجِب رغباتِكم فإني سَوف أرتبِط

ولن آخُذَ زوجتي من بلد غريب

بل سآخذها من بينكم جميلةً عاقلةً كريمةَ الأصل

مثلَما فعَل أجدادي غيرَ مرَّة

(٣٤)

ولكني سأنتظر ذلك النهارَ العظيم

لأخبِرَكم باختياري)

ومنذُ أن عُرِف الخبَرُ

انتشرَ في كلِّ مكان

ولا يمكننا أن نبيِّنَ بأيِّ حماسَة

كان الناس يعبِّرون في كل ناحية

عن الفرحة العامَّة

وكان هذا الخطيبُ هو الأكثَرَ سعادة

فقد كان في خطابه المؤثِّر

يعتقِد أنه المبدِعُ الوحيد

وأنه إنسانٌ ذو شأن

وقال في نفسِه :

لا شيءَ يمكنُ أن يُقاوِم البلاغةَ الرفيعة

(٣٥)

وكان يتلَذَّذُ برؤية العملِ غيرِ المجدي

الذي كانت جميلاتُ كلِّ المدينة يقُمْنَ به

لِيَجتذِبْنَ نظَرَ الأمير

ويستأهِلْنَ اختيارَ مولاهُنّ

الذي كان يَفْتِنُ بمظهرِه العفيفِ والمتواضِع خاصَّة

أكثَرَ من أيِّ شيءٍ آخَر

(٣٦)

فغيَّرْنَ جميعاً ثيابَهُنّ ومظْهَرَهُنّ

وصِرْنَ يَعْطِسْنَ بصوتٍ منخفِض

ويرقِّقْنَ أصواتَهُنّ

وأسدَلْنَ غِطاءَ الرأسِ نِصْفَ قَدَم

وغطَّيْنَ صُدورَهُنّ وأطَلْنَ الأكمام

حتَّى أصبَح المرءُ لا يكادُ يرى أطرافَ أصابِعِهِنّ

(٣٧)

وكان المرءُ يرى في المدينة الناشِطَة
ومن أجل الزواج الذي يقتَرِب
جميعَ الصناعاتِ تعْمَل
فهنا عرَباتٌ فاخِراتٌ تُصنَع
بشكلٍ رائعٍ تماماً
إنها عرباتٌ جميلةٌ جداً وحسَنَةُ الابتكار
إلى حدٍّ أنّ الذهبَ الذي كان يلمَع في كلِّ جزءٍ منها
كان أقلَّ ما فيها من هذا الْجَمَال
وحتَّى يرَى الناسُ أُبَّهَةَ المشْهَدِ كلِّه
نُصِبَتْ هنا بسهولةٍ وبلا أيِّ عقَبَة
منَصَّاتٌ طويلةٌ
وأُقِيْمتْ هناك أقواسُ نصرٍ كبيرة
حيثُ يتِمّ الاحتِفالُ بمجدِ الأميرِ المحارِب
وبالحبِّ الذي انتصَر عليه انتصاراً مُبِيْناً

(٣٨)

وكانت الألعابُ الناريةُ المصنوعةُ بمهارَة

تخيف الأرض

بصوتها الراعِدِ البريء

وكان ألفُ نَجْمٍ جديدٍ يزيِّن السَّماء

وكان المرءُ يسمَعُ ترديدَ الأنغام الشَّجِيَّة

من (باليه) رائعةٍ هناك

تعزِفُ بعنايةٍ الجنونَ اللطيف

ومن (أوبيرا) مشحونةٍ بألفٍ من الآلِهة هنا

من أجملِ ما أبدعتْ (إيطاليا)

(٣٩)

وأخيراً جاء اليومُ العظيم

من عندِ إلهَةِ الزواج

(٤٠)

وتحتَ سماءٍ متوقِّدَةٍ صافيَة

كان الفَجْرُ القُرْمُزِيُّ

يَمْزِجُ الذهَبَ باللازَوَرْد

استيقظَ الجنسُ اللطيفُ في كلّ مكان

وانتشَرَ الشعْبُ الفُضُولِيُّ في كلِّ ناحيَة

واتَّخَذَ الحرَسُ مراكِزَهم في أماكِنَ مختلِفَة
لرَدْعِ الدهماء
وإرغامِهم على التنَحِّي عن الطريق
وارْتَجَّ القَصْرُ كلُّه بالأبواق
والنَّاياتِ والمزاميْرِ والشبَّاباتِ الريفيَّة
ولم يكن يُسْمَعُ في محيطِ القصْر
سوى أصواتِ الطُّبُولِ والأبواق

(٤١)

وأخيراً خرجَ الأميرُ مُحاطاً بحاشِيَتِه
فارْتفَعَتْ صَيْحةُ فرَحٍ طويلَة
غيرَ أن الناسَ فُوجِئوا حينَ رأوْهُ يأخُذُ سبيلَه
عند أوَّلِ مُنْعَطَفٍ
نحوَ الغابَةِ القريبةِ كما كان يَفْعَلُ كلَّ يوم
فقالوا : هذه هي هِوايتُه التي استولَتْ عليه
من بين كلِّ مُيُولِه
وعلى الرغم من حُبِّه
يظلُّ الصَّيْدُ دائماً أقواها

(٤٢)

اجتاز الأميرُ بسُرعَة

أراضيَ السَّهْلِ المحرُوثَةَ ووصَلَ إلى الجبَل

ودخَلَ في الغابَةِ وَسْطَ دهْشَةِ الجماعةِ التي ترافقُه

(٤٣)

وبعدَ أن مرَّ بمُنْعَطَفاتٍ مختلفَة

كان قلبُه العاشقُ يُسَرُّ باستكشافِها

وَجَدَ أخيراً الكوخَ الريفي

الذي يقيم فيه أحبابُه اللُطَفاء

(٤٤)

كانت (غرِيزْليدِس) قد علِمَتْ بخبَرِ الزواج

عِبْرَ الشائعات

فارتدَتْ أجمَلَ ثيابِها

لتذهَبَ فترَى موكِبَه الفَخْم

وخرجَتْ من كوخِها الريفيّ

في هذه اللحظةِ نفسِها

(٤٥)

قال لها الأميرُ وهوَ يقْتَرِبُ منها
وينظُرُ إليها برِقَّة :
إلى أينَ تَجْرِيْنَ مستعجِلَةً ورشيقَة ؟
كُفِّي عن العَجَلَةِ أيَّتُها الراعِيَةُ الحبيبة
لأن العُرْس الذي تذهبين إليه
وأنا فيه العَرِيس
لا يمكِنُ أن يتِمَّ من غيرِك

(٤٦)

نعم أنا أُحِبُّكِ وقد اختَرْتُك
من بينِ ألفِ فتاةٍ جميلَة
لأقضي معك بقيةَ حياتي
إن لم تَرْفُضِي أُمْنِيَتِي
فقالت : آهٍ يا مولاي ! لا أعتقِد
أني مُسْتعِدَّةٌ لهذا الفَيْضِ من المجد
أنتَ تريدُ أن تتسلَّى
فقال لها : لا .. لا.. إنِّي جادٌّ

وقد أخذتُ من قبْلُ موافقةَ أبيكِ

وأراد أن يمزح معها فقال :

تَفَضَّلِي أيتُها الراعِيَةُ بالموافقَة

فهي كلُّ ما تبَقَّى عملُه

ولكِنْ في سبيلِ أن يَدُومَ بيننا

سلامٌ راسِخٌ إلى الأبَد

يجبُ أن تُقْسِمِي لي

على ألاَّ تكُون لكِ إرادةٌ أُخرَى سِوَى إرادتي

(٤٧)

قالت : أُقْسِم على ذلك وأَعِدُك بِه

ولو أنني كنتُ قد تزوَّجتُ أَحَطَّ مَنْ في القَرْيَة

لكنتُ له طائِعَةً ولكان نِيْرُه لطيفاً عندي

فكيف بي إذن وقد وجدتُ فيك مولاي وزوجي

(٤٨)

وهكذا أعلَن الأميرُ عن رأيِه

وبينما كان كلُّ مَنْ في القصرِ يُصَفِّق له

حَمَل الراعِيَةَ على أن تَتَحَمَّل التَّزَيُّن

بالزِّيْناتِ التي يُعْهَدُ بها إلى زوجاتِ الملُوك
ودخلتْ هؤلاءِ الزوجات
اللواتي يَتَعَيَّنُ عليهِنَّ هذ العَمَلُ إلى الكُوخ
وبَذَلْنَ بِهِمَّةٍ كلَّ معارِفِهِنَّ ومهاراتِهِنّ
لتقديم أجمَلِ ما في كلِّ زِيْنَة

(٤٩)

وفي هذا الكوخ الذي يتزاحم فيه الناس
كانت السيِّداتُ ينظرْن بإعجاب
وبلا انقطاع إلى المهارة
التي اختبأ بها الفَقْر تحت النظافة
وهذا الكوخُ الريفي
الذي تغطيه وتبرِّدُه شجرة دُلْبٍ واسعَة
كان يبدو لهنّ مقرَّاً رائعاً

(٥٠)

وأخيراً، خرجتْ الراعيةُ الفاتنة
من هذا الكوخ الوضيع معظَّمَةً ومتألِّقة
ولم تكن هناك سوى تهليلات

لجمالها واستحسانٍ لثيابِها

ووسط هذه الأبَّهة الغريبة

تحسَّر الأميرُ غيرَ مرَّة

على زينة الراعِية

والبسَاطَة البريئة

(٥١)

وعلى عربةٍ من ذهَبٍ وعاج

جلستِ الراعِيةُ مُفْعمةً بالعظمة

وصَعِد الأميرُ إليها بزَهْو

ولم يجد العاشقُ في أن يجلس إلى جانبها

مجداً يقلّ عن مشيته منتصراً إثر حرب

وقد تبعته حاشيته وكلٌّ منهم يحافظ على مرتبته

التي وضعته فيها وظيفته أو رِفْعَةُ دَمِه

وخرجتِ المدينةُ كلُّها تقريباً إلى الحقول

وغطَّى الناسُ السهولَ المحيطة بها

وكانوا متنبِّهين لاختيار الأمير

وكانوا ينتظرون عودته بفارغ الصبر

ظهَر الأميرُ فاجتمع الناسُ عليه

وكانت العرَبَةُ تسيرُ بصعوبة

وسطَ الجمهور الشعبي الكثيف

وبسبب صيحات الفرح الطويلة التي كانت تتضاعف دوماً

انفعلتِ الخيلُ واضطربَتْ

وصارتْ تتراجعُ أكثَرَ مِمَّا تتقدَّم

(٥٢)

وأخيراً وصل الأميرُ إلى المعبَد

وربط الزوجان هناك مصيرَهما

بالسلسلة الأبدية للعهد العظيم

ثم عادا بعدئذٍ إلى القصْر

حيث كانت في انتظارهما ألفُ مَسَرَّة

وحيث كان الرقصُ والألعابُ والمسابقاتُ والمباريات

تنشُرُ جميعاً المرح في كل مكان

وكانت شُقْرَةُ إلهةِ الزواج في المساء

تتوِّجُ النهارَ برقَّتِها الطاهرة

(٥٣)

ليوم التالي بادرتِ الحكوماتُ المختلِفة

في الإقليم كلِّه
إلى إلقاء الخطَب على الأميرة والأمير
وبصوتِ حُكّامِها

(٥٤)

كانت (غريزليدس) محاطةً بوصيفاتِها
ومن غير أن تبدُوَ دَهِشَة
كانت تصغي إليهن كأميرَة
وكانت تجيبُهن كأميرَة
وكانت تعمل كلَّ شيءٍ بأناة
وكان يبدو كأن السماء قد صبَّت كنوزَها
وفيرةً على روحِها وعلى جسَدِها
وقد اقتبستْ بعقلِها وإدراكِها النشيط
وعلى الفور تصرُّفاتِ المجتمعِ الراقي
حتَّى من اليوم الأوَّل
وتعرَّفت تماماً على مواهب وصيفاتِها وطباعِهِنّ
حتَّى كان حِسُّها السليم
يَبْذُل في توجيههنّ جُهْداً أقلّ
من جُهْدِ توجيهِ نَعْجاتِها في الزمنِ الماضي

(٥٥)

وقبل نهاية العام باركتِ السماء

المولد السعيد لثمرة الزواج

لم يكن المولود الأميرَ الذي كانوا يتمنَّونَه

غير أن الأميرة الوليدة كانت جميلة جداً

حتَّى إن المرء لم يكن يفكِّر إلا في المحافظة عليها

فكان الأب الذي وجد فيها هيئةً رقيقة وفاتنة

يأتي ليراها من وقت لآخَر

وكانت الأم التي لا تزال مبهورة

تنظر إليها باستمرار

وكانت تريد أن ترضعها بنفسها

وقالت : آه ! كيف يمكن التخلِّي عن الخدمة

التي كانت صرخاتها تطلبُها مني

من غير نكرانٍ عظيمٍ للمعروف ؟

وهل يمكنني بدافعٍ ذي طبيعةٍ عدائية

ألا أكون لطفلتي التي أحبُّها سِوَى نِصْفِ أُمّ ؟

(٥٦)

وسواء أكان لدى الأمير روحٌ أقلُّ اضطراماً بقليل

عما كانت عليه في الأيام الأولى من اشتعالها

أم كان طَبْعُه الذكِيّ

قد عاد في مُعْظَمِهِ للاشتعال

فغطَّى بدُخانِه الكَثيفِ على أحاسيسِه وأفسَد قلبَه

فقد كان يتصوَّر قليلاً من الصدق

في كل ما تفعله الأميرة

وكانت فضيلتُها الكبرى تجرَحُه

وكان ذلك أمراً يميل المرءُ إلى سرعةِ تصديقِه

لقد كان عقلُه القلِقُ والمرتبِك

يصدِّق كلَّ الشكوكِ التي يسمعُها

وأخذ يستمتِع بأن يضَع

موضعَ الشكِّ الإفراطَ في السعادة

(٥٧)

ولِيُشْفَى من الأحزان التي أصابت روحَه

صار يتابِعها ويراقِبها ويحبُّ مضايقتَها

بمشاكلِ الإكراهِ وهمومِ الخوف

وبكل ما يستطيع أن يتبيَّن به الحقيقة من الزَّيْف

وقال : هذا كثير وعليَّ أن أنام

فإذا كانت فضائلُها حقيقية

فإن المعاملاتِ التي لا يُمْكن أن تُطَاق

لن تصنع شيئاً سِوَى تَرْسيخِها

(٥٨)

فجعَلَها حبيسةَ القصر

بعيداً عن كلِّ المسرَّات التي تجري فيه

فكانت تعيش في غرفتها وحيدةً منعزِلة

ولم يكَدِ الأميرُ يسمَح بدخول النور إليها

مقتنعاً بأن الحِلْيَة والزينةَ الرائعتين

اللتين كوَّنتْهما الطبيعة للجنس اللطيف

من أجل الإمتاع

إنما هما القَدُّ الأكثرُ رقَّة

وأن هذا الجنس يطلب بشدَّة إلى من يعشقُه

اللآلئَ واليواقيتَ والخواتِمَ والجواهِر

ليكون في ذلك علامةٌ على رقَّتِه

عندما يصبِح زوجاً له

(٥٩)

أصبحت حياة الأميرة بلا عمل

سوى القيام بواجباتها

ولم تكن لها علاقاتٌ قطّ

وقد كانت تعطيه تلك اللآلئَ واليواقيتَ من غير تأثُّر

حتى إنها عندما كانت تراه يُسَرُّ باستعادتها

لم تكن فرحتُها بردِّها

بأقلَّ من فرحتها حين تسلَّمتْها

وكانت تقول : لِيَخْتَبِرَنِي زوجي فإنَّه يُعَذِّبُنِي

وأرى بوضوح أنه لا يؤلِمني

إلا من أجل أن يوقظ فِيَّ فضيلتي الفاترة

التي يمكن أن تُهلِكها الراحةُ العذبةُ الطويلة

وإن لم يكُن هذا قصدَه

فإنَّ مِثْلَ ذلك يكون حُكْماً من الربِّ عليّ

وليست الديمومةُ المزعجةُ لِكَثير من الشرور

سِوَى اختبارٍ لثباتي وإيماني

(٦٠)

وفي الوقتِ الذي تَتُوْهُ فيه كثيرٌ من التعيسات

حسبَ رغباتِهِنّ

في ألفِ طريقٍ خطِر

إثرَ ملذّاتٍ خاطِئةٍ وعبَثِيّة

فإن الربَّ بعدالتِه المتأنِّيَة

يدَعُهُنّ يذهبْنَ إلى حدودِ الهاوِيَة

من غيرِ أن يُسْهِم في دفعِهِنّ إليها

وبحركةٍ نقِيَّةٍ من طِيْبَتِه الساميَة

يختارني كطفلٍ يحبّه

فيعمِد إلى تقْويمِي

(٦١)

فَلْنُحِبَّ إذن صرامةَ الربّ القاسيةَ العائدةَ بالنفع علينا

فالمرءُ لا يكون سعيداً إلا بقدر ما يعاني

وَلْنُحِبّ طيبةَ الربِّ الأبوية

واليدَ التي تستعملها

(٦٢)

رآها الأميرُ تطيعُ وبلا إكراه

جميعَ أوامرِه المطلَقَة

فقال : أرى أن أساسَ ذلك الفضيلةُ المصطنَعة

وهذا ما جعل كلّ ضرباتي عقيمة

وذلك لأنها لم تُلحِق الضررَ

إلا بمواضِعَ لم يعُد حبُّها فيها

(٦٣)

وَضَعَتِ الأُمُّ كلَّ حنانِها في طفلتِها الأميرةِ الصغيرة

ولاختبار ذلك يجب أن أذهب إلى هناك

إن أردتُ أن أنجح

وهناك يمكنني أن أستوضِح[١]

أعطتِ الأمّ ثديها

للكائن الرقيقِ من حبِّها الملتهِب

---

(١) يبدو أن المؤلِّف هنا يتحدَّث عن نفسِه (ولاختبار .. أستوضح) ، وقد جرت عادته أن يتدخَّل بمثل هذه التعليقات أثناء سَرْد حكاياته. (المترجم)

وكان هذا النائم في حُضْنِها يلعَب معها

وكان يضحك عند النظر إليه

قال لها الأمير : أرَى أنكِ تحبِّينها

ومع ذلك يجب أن أنتزِعَها منكِ في هذا العُمُرِ الغَضّ

من أجل تكْوِين أخلاقِها وحمايتِها

من بعض الظواهر السيِّئَة التي يمكن أن تأخذها عنكِ

وقد جعلني حظِّي السعيدُ أعثُر

على سيِّدةٍ عاقلةٍ تعرِف كيفَ تربِّيْها

على كل الفضائلِ والأدب

الذي يجب أن تَحُوزَه أميرة

فاستعِدِّي لتركها

فهناك من سيأتي لأخذها

وبهذه الكلمات تركها غيرَ قادرة على امتلاك الشجاعة

لترى العُرْبونَ الوحيدَ لحبِّهما يُنتَزَع من يديها

وكذلك العيونُ القاسيةُ جداً

فغسلتْ وجهَها بألفٍ من الدموع

وبتعبٍ حزين كانت تنتظر لشقوَتِها اللحظةَ القاسية

(٦٤)

ومنذ أن ظهَر الوزيرُ الكريهُ لعينيها

في مشهَدٍ حزينٍ جداً وقاسٍ

قالت : يجب أن أطيعَه

وأخذتْ طفلتَها وهي تمعن النظرَ إليها

وقبَّلتْها بشوقِ الأمّ

وضغَطَت على يديها الصغيرتين بحنان

ثم سلَّمتْها وهي تبكي بكُلِّيَّتِها

آهٍ كم سيكون ألَمُها مريراً

فانتزاعُ الطفلةِ أو القلبِ

من صدر أمٍّ حنونٍ جداً

سَواءٌ في الأَلَم

(٦٥)

كان قربَ المدينة ديرٌ للرهبان

مشهورٌ بقِدَمِه

وكانت تعيشُ فيه عذراواتٌ بنِظامٍ صارِم

تحت أنظارِ رئيسةِ ديرٍ مشهورَةٍ بالتقوَى

وهناك أُودِعَتِ الطفلةُ في صمتٍ

ومن غير إعلانٍ عن أصلِها

مع خواتِمَ غاليةِ الثمَن

على سبيل المكافأة

الجديرة بالعناية التي ستتلقّاها

(٦٦)

والأميرُ الذي كان يحاوِل أن يُبْعِدَ بالصيد

عذابَ الضمير الذي يُضايِقه

بشأن الإفراطِ في قسوتِه

كان يخشى رؤيةَ الأميرة

كما يخشى المرء رؤية نَمِرَةٍ هائجةٍ

انتُزِع منها صغيرُها

ومع ذلك كان يُعامِلُها برقَّةٍ وتوَدُّد

وحتى بالحنانِ الذي عهِدتْه في أجملِ أيامِ رَخائها

(٦٧)

وبهذه المجاملةِ العظيمةِ جداً والمفاجئة

هزَّه الشعورُ بالأسَفِ والخِزْي

ولكن حزنه بقِي الأقوى

وهكذا بعد يومين وبدموعٍ زائفة

جاء ليخبرها أن الموتَ

قد اختطف طفلتَهما الحبيبة

(٦٨)

لقد أصابتْها هذه الضربةُ غيرُ المتوقَّعةِ بجرحٍ قاتِل

ومع ذلك وعلى الرغم من حزنها

أظهرت لزوجها حين تغيَّر لونه

أنها قد نسيتْ مصيبتَها

ولم يكن لديها حنان

سِوَى لتعزيته عن أَلَمِه المزيَّف

وهذه الطِّيْبَةُ وتلك الحماسةُ اللتانِ لا نظيرَ لهما

في المحبَّة الزوجية

جرَّدتا الأميرَ فوراً من قسوتِه

وأَثَّرَتا فيه وتغلغلتا وغيَّرَتا قلبَه

إلى حدِّ أنه كان ينوي

أن يعلِن أن طفلتَهما

لا تزال تتمتَّع بالحياة
ولكِنّ سُخْطَه صحَا ومنعَه بتغطرُس
من أن يكشِف شيئاً من السِّرّ
الذي يمكن أن يكون السكوتُ عليه مفيداً

(٦٩)

ومنذ هذا اليومِ السعيدِ للزوجين
كان الحنانُ المتبادَل
الذي لم يكن قطُّ في أكثر الأوقات رِقَّة
بين العاشق وحبيبته
أشدَّ منه اليوم

(٧٠)

نَزَلَتِ الشمسُ خمسَ عشرةَ مرَّةً
في منازِلِها الاثني عشَر
لتكوين الفصول بالتناوُب
من غيرِ أن يرَى المرءُ شيئاً يفرِّقُهما
إلا في بعض الأحيان ونتيجةَ رغبةٍ طارئة

كان الأميرُ يستمتِع فيها بإغضابِها

وذلك فقط لمنع الحبِّ من الفُتُور

مثلَ الحدّاد الذي يرُشُّ وهو مسرِعٌ في عمله

قليلاً من الماء على الجمْر

في فُرْنِه الخامِدِ لِيزيدَ حرارتَه

(٧١)

وأثناء ذلك كانت الأميرةُ الصغيرة

تنمو في عقلِها وحِكْمَتِها

على رقَّتها وسذاجتِها

وقد كانت تحتفظ من أُمِّها الحبيبة

وتجمع من أبيها الكريم

الكبرياءَ اللطيفةَ والنبيلة

وقد صنعت لها جملةُ ما يَسُرّ

في كلِّ طبعٍ جمالاً تامَّاً

(٧٢)

فكانت تتألَّقُ في كلّ مكانٍ مثلَ نجمَة

وقد رآها بالمصادَفة سيِّدٌ من القصر

شابٌّ وقويُّ البنية وأجملُ من النهار

تظهر على الشُّبَّاك

فأكَنَّ لها حبّاً عنيفاً

بسبب الغريزةِ التي منحتْه إياها

الطبيعةُ تُجاهَ الجنسِ اللطيف

وقد رأت كلُّ الأشياء الجميلة

الجرْحَ الخفِيَّ الذي صنعتْه عيونُهما

وفي الوقت الذي صنعتْه

علِمتِ الأميرةُ بأنها قد أصبحت محبوبةً بحنان

(٧٣)

وبعد أن قاوَمَتْ لبعضِ الوقت

كما ينبغي قبلَ الاستجابة

لحبٍّ رقيق أيضاً

أحبَّتْه من جانبها

(٧٤)

ولم يكن في هذا العاشق شيءٌ

يمكن أن يؤاخذ عليه

فقد كان جميلاً ومقداماً ومولوداً لأجدادٍ عظماء

ومنذ زمن طويلٍ وضَع الأميرُ عينيه عليه

ليجعل منه صهراً له

وهكذا علِم بفرح

أمرَ الضِّرام اللطيف والمتبادل

الذي كان هذان الشابان العاشقان يحترقان فيه

ولكِنَّ نفسَه حدَّثتْه بأمرٍ غريب

هو أن يجعلهما يشتريان

أعظمَ سعادةٍ في حياتِهما

بآلامٍ مبرِّحةٍ[1]

(٧٥)

قال : إنه ليسرُّني أن أجعلَهما سعيدين

---

(١) وهنا بدأ الأمير يفكِّر في الأمر الذي سيعكِّر حياة زوجته لاختبارها، وسينغِّص على ابنتِه الأميرة الشابة وعاشقها الأمير الشاب معاً حبَّهُما لفترة وجيزة ليجعل أحدَهما أشدَّ تعلُّقاً بالآخر، وهو غير جادٍّ - كما سنرى - فيما أقدم عليه، والدليل على ذلك قول الراوية آنفاً : (ومنذ زمن طويل وضع الأميرُ عينيه عليه / ليجعل منه صهراً له). (المترجم)

ولكن يجب أن يكون هناك قلقٌ

بأقسى ما يكون

ولسوف أمارِس في الوقت نفسه

طول البال على زوجتي

لا كما كان عليه الأمرُ حتى اليوم

ولأحقِّق ظنِّي المجنون

عليّ ألاّ أشكَّ في حبِّها

حتَّى أجعلَ طِيْبَتَها

ورقَّتَها وحكمتَها العميقة

تتجلَّى لعيونِ كلّ الناس

لكي تبدوَ الأرضُ مُزْدانة

بهذه المواهب العظيمة والثمينة جداً

ولِيَدخُلَ فيها الاحترام

وبعرفانٍ للجميل يُقَدَّم الشكرُ للسماوات عليها

(٧٦)

وقد أعلن للجمهور بأنه وقد فَقَدَ الذرِّيّة

التي تجِد فيها الدولةُ يوماً ما سيِّدَها

وذلك لأن البنتَ التي كانت له من زواجِه المجنون

كانت قد ماتت فورَ مَوْلدِها

فعليه أن يبحث عن مزيد من السعادة

وأن الزوجةَ التي سيتَّخِذها من أصلٍ كريم

وأنها لا تزال تربَّى حتى اليوم

في ديرٍ على البراءَة

وأنها ستتوِّج حبَّه بالزواج منها

(٧٧)

ويمكِننا أن نحكُم إلى أيِّ حدٍّ

كان هذا الخبر الفظيع قاسياً على العاشقَيْنِ الشابَّيْن

وبالنتيجة ومن غير إظهار أيِّ حزنٍ أو ألم

أخبَرَ زوجتَه المخلصة

بأنه يجب أن ينفصِل عنها

لتجنُّب تعاسةٍ شديدة

وأن الشعب المغتاظ من أصلها المنحطّ

يضطرُّه إلى أن يتَّخِذ مصاهرةً كريمة

وقال : يجب أن تعودي

إلى تحتِ سقفِ القَشِّ والسَّرْخَس

بعد أن تأخُذِي ثيابَ الراعية

التي جهَّزتُها لك

وبرباطةِ جأْشٍ هادئةٍ وصامتَة

سمِعَت الأميرةُ النُّطقَ بهذا الْحُكْم

وتحتَ سِتارِ وَجْهٍ طَلْقٍ

كانت تَسْتُر غَمَّها

ومن غير أن يقلِّل الألَمُ من مفاتِنِها

كانت دموعٌ عظيمةٌ تنحدِر من عينيها الجميلتين

وهكذا يكون الجوُّ أحياناً عند عودة الربيع

مُشْمِساً وماطِراً في الوقتِ نفسِه

(٧٨)

قالت وهي تتنهَّد وقد أُغْمِي عليها :

إنك زوجي ومولاي وسيِّدي

وعلى الرغم من هذا الشيء الرهيب الذي سمعتُه

أستطيع أن أُعَرِّفَكَ

أن شيئاً ليس أغلى عليَّ من أن أطيعَك

(٧٩)

وانسحَبَتْ فوراً إلى غرفتها

وخلَعَتْ ثيابَها الغالية

ولبِسَتْ هادئةً ومن غير أن تقول شيئاً

في الوقت الذي كان قلبُها يتحسَّر فيه

تلك الثيابَ التي كانت تملِكها وهي ترعَى نَعْجاتِها

وبهذا اللباسِ المتواضعِ والبسيط

دَنَتْ من الأمير وخاطبتْه بهذه الكلمات :

أنا لا أستطيع البُعْدَ عنك

إنني أستطيع أن أتحمَّل عِبْءَ بؤسِي

ولكنني لا أستطيع يا مولاي أن أتحمَّل غضبَك

فامنَحْ هذا الفَضْلَ لأسَفِي الصادِق

وسأعيش سعيدةً في مسكني التعيس

من غير أن يُفْسِد الزمانُ

احترامي المتواضعَ ولا حبِّيَ الصادِق

(٨٠)

كثيرٌ من الخضوعِ وكثيرٌ من عَظَمَةِ الروح

تحتَ ثيابٍ وضيعةٍ جداً
أيقظَ في قلب الأمير في الوقتِ نفسِه
كلَّ ملامِحِ لهيبِه الأوَّل
التي راحت تكسِرُ قرار إبعادِها
متأثِّراً بمفاتِنِها القويَّةِ جداً
وحينَ كان على وَشْكِ أن يَنْثُرَ دموعَه
وكان قد بدأ يتقدَّم لاحتضانِها
دَعَتْهُ العِزَّةُ المتعجرِفَةُ فجأةً
لأن يكون حازماً في شعورِه
فأحْرَزَ نصراً على حبِّه
وجعَلَه يجيبُ بقَسْوَةٍ بهذه الكلمات :
كنتُ طوالَ الزمن الماضِي قد فَقَدْتُ صَوَابِي
وأنا سعيدٌ بنَدمِك
هيَّا فقد حانَ وقتُ الرحيل

(٨١)

رحَلَتْ على الفور وقالت حين رأت أباها
الذي ألبَسَتْه ثياباً خشِنَة

وهي تبكي هذا التغيُّرَ السريعَ والمفاجِئ

ويخترِقُ قلبَها ألَمٌ مرِيْر :

لِنَعُدْ إلى غابتِنا الْمُعْتِمَة

لِنَعُدْ فنسكُنَ في منازِلِنا الموحِشَة

ولْنُغادِرْ غيرَ آسِفَيْنِ أُبَّهَةَ القُصُور

ليسَ في أكْواخِنا تلك الأُبَّهَة

غيرَ أن المرءَ يَجِدُ فيها بكثيرٍ من البراءَة

راحةً أكثَرَ وسلاماً أعْذَب

(٨٢)

ولَمَّا وَصَلَتْ بمشَقَّةٍ عظيمةٍ إلى بيتِها الخالي

أخذَتْ أصوافَها ومَغازِلَها

وراحت تَغْزِل على حافَّة المياهِ نفسِها

التي كان الأميرُ قد وجدها فيها

وكان قلبُها المطْمَئنُّ هناك بلا ضَغينَة

يسألُ السَّماءَ مئة مرّةٍ في النهار

بأن تَغْمُرَ زوجَها بالمجدِ والثروات

وأن تستجيبَ لكلِّ رغباتِه

فإنّ حُبّاً تُغَذِّيهِ المغازلاتُ

ليسَ أكثرَ اضطراماً من حُبِّها

(٨٣)

لقد قالت لهذا الزَّوْجِ الذي تتأسَّفُ عليه

وهي تنسَحِبُ

رغبةً منها في إثباتِ ذلك الحبّ

إنَّها ستأتي لِتَراهُ

(٨٤)

وقد قال منذ أن حَضَرَتْ (غريزليدس)

ينبغي للأميرة التي سوف أعطيها يدي غداً في المعبد

أن تكون سعيدة بكِ وبي

وأطلبُ إليكِ هنا أن تعتني بها كلَّ العناية

وأريد أن تساعديني على إشباع موضوع رغباتي

وأنتِ تعرفين بأيِّ شكلٍ يجب أن أُخْدَم

فلا توفيرَ ولا تَحَفُّظَ

هذا ما أحسَّ به الأميرُ العاشِق

(٨٥)

استعملي كلَّ مهارتِك

في تزيينِ جناحِها

حتى ترَى الخيراتِ والثَّرْوة

والنظافةَ والتهذيب

وفكِّري أخيراً بلا انقطاع

في أنني أحِبُّ برِقَّة

أميرةً شابَّة

(٨٦)

وحتّى أُدخِلَكِ أكثر

في شؤون واجِبِك

أريد أن أُرِيَكِ هنا

تلكَ التي تدخُلِينَ في خِدْمتِها

استجابةً لأمري

(٨٧)

ومثلما تظهرُ وِلادَةُ الفَجْر

في موانئ المشْرِق

ظهَرتِ الأميرةُ وهي تَصِل

أجملَ بكثير أيضاً

فشعَرَتْ (غريزليدس) عند اقترابِها

ومن أعماقِ قلبِها بشُحْنَةٍ عَذْبة

من الحنانِ الأُمومِيّ

ومن الزمانِ الماضي ومن أيامِها الهانئة

استيقَظَتِ الذِّكْرَى في قلبِها

وقالتْ في نفسِها : وا حسْرَتاهُ يا ابنتِي

لو أنّ السَّماءَ ذاتَ العَطْفِ سَمِعَتْ أُمْنِياتي

لكانَتِ ابنتِي كبيرةً أيضاً تقريباً وربَّما جميلةً أيضاً

(٨٨)

وأحبَّتْ في الوقتِ نفسِه هذهِ الأميرةَ الشابَّة

حُبّاً قويّاً جِدّاً ومتَّقِداً اتِّقاداً عظيماً

كالذي كان حين غابَتْ عنْها

وبهذا الشكل تكلَّمتْ مع الأمير

متَّبِعَةً من غير أن تدري الغَرِيْزَة

التي كانتْ تُخَالِجُها :

اسْمَحْ لي يا مولايَ أن أُذَكِّرَك
أن هذه الأميرةَ الفاتِنَة
التي ستُصْبِحُ زوجاً لها
لن تستطيعَ في رَخائها ونَضَارتِها ومَيْعَةِ صِباها
أن تَتَحَمَّلَ ذاتَ المعاملاتِ التي تَلَقَّيْتُها منك
من غير أن تفْقِدَ حياتَها
إن الحاجَةَ ومولِدِيَ المغْمورَ قَوَّيانِي على الأعمال
فكُنْتُ أستطيعُ أن أتَحَمَّلَ كلَّ أنواعِ الآلام
بلا تَعَبٍ ولا تَذَمُّر
ولكِنَّ الأميرةَ التي لم تعرِفْ قَطُّ الأَلَم
سوفَ تَمُوتُ لدَى أقلِّ شِدَّةٍ معها
وعند أدْنَى كلِمةٍ جافَّةٍ أو قاسِيَةٍ قليلاً
وللأسَف أناشِدُكَ يا مولاي
أن تعامِلَها برِقَّة

(٨٩)

قال لها الأمير بلهجةٍ صارمة :
فكِّري في خدمتي قَدْرَ طاقتِك

ولا ينبغي لراعيةٍ بسيطة
أن تُلقِيَ عليّ دروساً
وتتَدخَّلَ لتُخبرَني بواجبي
فلما سَمِعَتْ (غريزليدس) هذه الكلمات
أخفَضَتْ بَصَرَها ولم تتفوَّهْ بشيءٍ ثم انْسَحَبَتْ

(٩٠)

وفي هذه الأثناء
وَصَلَ السادةُ المدعُوُّون لحضور القِرَان
من كلِّ مكان
وتكلَّم إليهم الأمير
في القاعة الفاخرة التي جمعهم فيها
قبل أن يُوقِدَ شُعْلَةَ الزواج
بهذه الطريقة :
لا شيءَ في هذا العالم بعد الأمل
أكثرُ خداعاً من الظاهر
ويمكننا أن نرَى هنا مثالاً جلِيّاً عليه
فَمَنْ يُصَدِّق أن حبيبتي الشابَّة

التي سيَجْعلُها القِرَانُ أميرة
لم تكُن سعيدةً ولم يكُن قلبُها مسروراً ؟
ومَنْ يُصَدِّق أن هذا المحارِبَ الشابَّ
العاشِقَ للمجْدِ لا يُحِبُّ أن يَرَى هذا القِرَان ؟
وهو الذي أحْرزَ الانتصاراتِ في المباريات
على جميعِ خُصُومِه ؟
ومع ذلك لم يكن هذا حقيقياً
ومَنْ يُصَدِّق أيضاً أنه في غضبه الصائب
لم تبكِ (غريزليدس) ولم تَيْأَس ؟
ولم تَشْكُ قَطُّ وكانتْ تقْبَلُ بكلِّ شَيْء
ولم يستَطِعْ شيءٌ أن يدفَعَ صبرَها إلى النَّفَاد ؟
ومَنْ يُصَدِّق أخيراً أَنْ لا شيءَ في حياتي
يُمكِنُ أن يُعادِلَ عندي الْجَرْيَ السعيد
وراء مُغْرِياتِ موضوعِ رغباتي ؟
ومعَ ذلك إنْ كان هذا الزواجُ سيربطني بعُراهُ
فإنني أتصوَّر فيه أَلَماً عميقاً
ولسوفَ أكُونُ الأكْثَرَ تعاسَة

بينَ أمراءِ العالَمِ

(٩١)

يبدو لكم هذا اللُغْزُ صعباً على الإدراك
إن لدَيَّ كلمَتين ستجعَلانِكُمْ تفْهَمونَه
ولَسَوفَ تُبَدِّدُ هاتانِ الكلمتانِ
كلَّ التعاساتِ التي سَمِعتُموها

(٩٢)

وتابَعَ قائلاً : اعْلَمُوا أن الشخصَ المحبوب
الذي تعتقِدُونَ أنه جَرَح قلبِي
إنما هو ابنتِي
وأنني سوف أُقَدِّمُها زوجةً لهذا السيِّد
الذي يُحِبُّها غايةَ الحبّ
كما أنها تُحِبُّه حبّاً مِثْلَه

(٩٣)

واعْلَمُوا أيضاً أنني وقد تأثَّرْتُ تأثُّراً شديداً
بصَبْر الزوجة العاقلة والمخلِصَةِ وحِرْصِها
وهي الزوجةُ التي طردتُها بشكلٍ غيرِ لائِق

سوف أُعيْدُها لكي أُصلِح
بكلِّ ما يستطيعُ الحبُّ أن يملْكَ من رِقَّة
المعاملَةَ القاسِيَةَ والهمجِيَّة
التي تلقَّتْها من رُوْحِي الحاسِدَة

(٩٤)

إنَّ دَرْسِي سيكونُ أكْبَر
بكَبْحِ كلِّ رَغَباتِها
حتّى لا تكونَ سببَ قلقِي
فلا أُرْهِقُها بالهموم
وإذا كان لذِكْرَى المتاعِب
التي لم يَتَحَطَّمْ قلبُها لها
أن تعيشَ في كل الأزمان
فأنا أرغب في أن يتحدَّث المرءُ عن الْمَجْد
الذي سأُتَوِّج بهِ فضيلتَها الساميَة

(٩٥)

ومثْلَما تُشَكِّلُ سحابَةٌ كثيفَةٌ
نهاراً مُظْلِماً

فتكونُ السَّمَاءُ من كلِّ الجِهاتِ مُكْفَهِرَّة
ومُنْذِرَةً بعاصِفَةٍ هائلَةٍ
وإذا بالرِّيْحِ تُبَدِّدُ هذا الحجابَ المظْلِم
وينتَثِرُ على الطبيعة
شُعَاعٌ مُتَأَلِّقٌ منَ النُّور
فيضحَكُ كلُّ شيءٍ ويستَعِيْدُ جَمَالَه
ويَتَلأْلأُ فجأةً فَرَحٌ مُتَوَقِّد
في العُيُونِ التي كان الْحُزْنُ يُهَيْمِنُ عليها

(٩٦)

وبهذا التوضيحِ المفاجِئ
سُرَّتِ الأميرةُ الشابَّة
لعِلْمِها أنّ الأميرَ قد منَحَها الحياة
فارتَمَتْ على رُكْبَتَيْهِ تحتَضِنُهُما بحرَارَة
فأَنْهَضَها الأميرُ الذي رَقَّقَتْ قلبَهُ ابْنَةٌ غالِيَةٌ جدّاً عليه
وقبَّلَها وصَحِبَها إلى أُمِّها
التي كان كلُّ شُعُورِها تقريباً سَعادَةً عارِمَة
في هذا الوقتِ نفسِه

(٩٧)

وأمَّا قلبُها الذي طالَمَا كان فريسَةَ القَلَق

هذا القلبُ ذو الملامِحِ الأكثَرِ تبريحاً من الشقاء

والذي تَحَمَّلَ كثيراً من الآلام

فقَدْ ناءَ تحتَ ثِقْلِ الفَرْحَةِ الرقيق

وبِجُهْدٍ جَهِيْدٍ من ذِراعَيْها

استطاعتْ أن تَضُمَّ طِفْلَتَها المحبوبة

التي أعادَتْها إليهَا السَّمَاء

ولم تكن تستطيعُ غيرَ البُكاء

(٩٨)

قال لها الأمير : كَفَى إنَّكِ تستَطيعينَ في أوقاتٍ أُخْرَى

أن تُشْبِعِي حَنينَ الدَّم

فاستَرِدِّي ثِيابَكِ التي تتطلَّبُها مكانَتُك

فلدينا احتِفالاتُ عُرْسٍ ينبغي أن نعْمَلَ لها

(٩٩)

أُخِذَ الشَّابَّانِ العاشِقَانِ إلى المعْبَد

حيثُ رَسَّخَ العَهْدُ المتَبادَلُ

بأن يتَحابَّا بِحَنانٍ إلى الأبَد
روابِطَهما العَذْبَة

(١٠٠)

أُقِيْمَتِ المسرَّاتُ والمبارياتُ الرائعَة
والألْعابُ والرقصاتُ والموسيقات
والمآدِبُ الشَّهِيَّة
حيثُ اتَّجَهَتْ كلُّ العيونِ إلى (غريزليدس)
التي رَفَعَ صَبْرَها الذي عانَتْ منه إلى السَّمَاء
ألفُ مَدِيْحٍ رائع
وكانت هناك مجاملاتٌ مماثِلَة
من أناسٍ مبتهِجينَ لأميرِهِم
ذي النَّزَوات
مدحوا فيها مِحْنَتَهُ القاسِيَة
التي يَدِيْنُ فيها لنموذجٍ عظيمِ الكَمَال
تبَعاً لمزِيَّة فيه جميلة جداً
ملائِمَة جداً للجنس اللطيف
ونادِرَةٍ جداً في كلِّ مكان

* * *

٢

الأماني التافهة[١]

Les Souhaits ridicules

تمهيد

إن كنتَ قليلَ الحصافة

فسأكون متحفِّظاً في ذكرِ

الحكاية المجنونة الطريفة

التي سأسردها لك

ويقدِّم مادَّتها (حَبْلٌ من السُّجُق)[٢]

---

(١) وردت هذه الحكاية، في أصلها الفرنسي، منظومة شعراً ، وسنحاول الالتزام بشكلها الشعري الذي وردت عليه من غير التزام بالوزن. وقمنا بإضافة الترقيمات بين فقرات الحكاية نفسها (المترجم) .

(٢) أصل هذه العبارة بالفرنسية (aune de boudin) أي: المصران الذي يُمْلأ دماً، ثم يوضع على النار حتى ينضج، ثم يؤكل، ويبدو لنا أن هذا =

(حبلٌ من السُّجُق يا عزيزتي !

وارحمتاه ! إنه لشيءٌ فظيع !)

صاحت بهذا القول متحذلقةٌ

كانت دوماً رقيقة وجادَّة

ولا تحبّ أن تسمع إلا كلاماً في شؤون القلب

غير أنكم يا مَنْ تعيشون بروحٍ حيَّةٍ

تعرفون كيف تستمتعون بالحكاية

ولو كانت عباراتها ساذجةً جداً

إلى حدٍ تعتقدون فيه أنكم ترون ما تسمعون

أنتم يا مَنْ تعلمون أن هذه الطريقة

التي يتمّ بها اختراع بعض الأشياء

التي تصنع الجمالَ

أكثر بكثير مما تصنعه مادة أي حكاية

إنكم سوف تحبون حكايتي هذه وتدركون مغزاها

وأجرؤ على القول إنني على ثقةٍ تامة بذلك

= اللون من الطعام كان طعاماً شعبياً عند الفرنسيين، وهو مستقبح جداً عند العرب ومحرَّم عند المسلمين، ولذا آثرنا أن نترجم اسم الأكلة بكلمة (السجق) لقربها منها من حيث الشكل على الأقل (المترجم) .

الحكايــة

(١)

كان في زمن من الأزمان حطَّابٌ فقيرٌ
تَعِبَ كثيراً من حياته الشاقَّة
وكانت لديه رغبة عارمة كما تقول الحكاية
في أن ينطلق ليستريح على ضفاف نهر (أشيرون)[١] Achéron
متصوِّراً من خلال آلامه العميقة
أن السماء القاسية لم تكن ترغب
منذ وُلِد في هذا العالم
في أن تحقِّق له أمنية واحدة فقط من أمانيه

(٢)

وفي ذات يوم، وهو يشكو حاله لنفسه في الغابة
وحزمةُ الحطب في يده تجلَّى له (جوبيتر) [٢] Jupiter

---

(١) وهو نهر من أنهار جهنم كما تروي المصادر الفرنسية. (المترجم)
(٢) جوبيتر: هو والد الآلهة جميعاً وسيِّدها في الأساطير اللاتينية. (المترجم)

ومن الصعب جداً أن يصف المرء وصفاً تاماً

ذلك الخوفَ الذي أصاب هذا الإنسانَ الطيِّب

فقد قال وهو منكبٌّ على الأرض : لا أريد شيئاً

لا أماني ولا مصائب

ولْنَبْقَ يا سيدي على ما نحن عليه !

(٣)

قال له (جوبيتر) : هدِّئ من رَوْعِك !

لقد جئتُ إليك متأثِّراً بشكواك

لأريك ما ألحقتَ بي من أذىً !

اسمعْ إني أنا السيِّد المسيطِر على هذا العالم كلِّه

أَعِدُكَ بأن أُجيبك إلى الأماني الثلاث الأولى

التي ترغب فيها أياً ما كانت

فانظر إلى ما يمكن أن يجعلَك سعيداً

وانظر إلى ما يمكن أن يرضيَك

ولما كانت سعادتُك تتعلَّق بأمانيك

ففكِّر فيها جيِّداً قبل أن تنطق بها !

(٤)

صعِد (جوبيتر) بعد هذه الكلمات إلى السماء

وربط الحطَّاب المسرور حزمة الحطب

وحملها على ظهره عائداً إلى البيت

وكان يرى أن هذا الحِمْلَ أخفُّ حِمْلٍ عليه

وكان يقول وهو يهرول :

لا ينبغي لي – مع كل هذا – أن أفعلَ شيئاً بلا رويَّةٍ

وينبغي لي وهذا أمر مهِمٌّ

أن آخذ في ذلك رأي زوجتي في البيت

وقال وهو يدخل بيته المصنوع من القَشّ :

أوقدي يا (فانشون) Fanchon ناراً عظيمة

وأولمي وليمة كبيرة

فقد صرنا أغنياءَ إلى الأبد

وليس علينا إلا أن نتمنَّى !

ثم روى لها كل ما جرى معه

وتصوَّرت زوجته النشِطَة المتعجِّلة في ذهنها

من خلال حديثه ألفَ مشروعٍ

ولكنها كانت ترى أن المهم

هو أن تتصرَّف في الأمر بحذر

وقالت لزوجها : يا (بليز) Blaise يا زوجي العزيز

لن نُفْسِد شيئاً بنفادِ صبرنا

ولنتأمَّل فيما بيننا

ما ينبغي لنا أن نفعل في ظرفٍ كهذا

ولنبدأ غداً في ذكر أمنيتنا الأولى

ولنتشاوَرْ في الأمر !

(٥)

قال لها الرجلُ الطيِّب (بليز) : إنني أفهم ذلك تماماً

ولكن أخرِجي لنا خمراً من وراء حزمة الحطب تلك !

وحين جاءته بالخمر شرب واستمتع بحلاوة الراحة

وهو يرتاح قرب نارٍ عظيمة

وتمنَّى وهو يتَّكِئ على ظهر كرسيِّه قائلاً :

ما دامت لدينا خمرٌ جيِّدة جداً

فلو يأتينا (حبلُ سُجُقٍ) في الوقت المناسب !

وما إن انتهى من النطق بهذه الكلمات

حتَّى رأت زوجتُه وهي في غاية الدهشة

(حبلَ سُجُق) طويلاً يتدلَّى من إحدى زوايا المدخنة

ويقترب منها وهو يتلوَّى

فصرخت الزوجة على الفور

وأدركت أن هذه المغامرة

كان سببُها أن زوجها المغفَّلَ

قد تمناها بحماقة تامة

ولذا لم تُبْقِ شتيمةً ولا مسبَّةً

ولم تجد سخطاً ولا غضباً

إلا صبَّته على رأس زوجها المسكين وقالت :

حين يكون بإمكان المرء أن يحصل على إمبراطورية

وذهبٍ ولآلئَ ويواقيتَ

وألماسٍ وثيابٍ فاخرةٍ

فهل يتمنَّى الحصول على (حبلِ سُجُق) ؟!

فقال لها : حسناً لقد وقع اختياري في المكان الخاطئ

لقد ارتكبتُ خطأ فادحاً

وسأتمنى في المرة الثانية أمنيةً أفضل !

فقالت له : حسناً انتظرني تحت شجرة الدِّرْدار ![1]

وفكَّرتْ أكثر من مرَّةٍ

حين استولى عليها الغضب

في أن تتمنَّى أن تصبح أرملةً

وربما لا يستطيع المرء في مثل حالتها أن يتمنَّى ما هو أفضل

وكان الزوج يقول : الرجالُ خُلِقُوا ليعانوا

اللعنةُ على (حَبْلُ السُّجُق)

وإنه ليُرْضِي الربّ أيتها المرأةُ البلهاءُ

أن يلتصِق (حَبْلُ السُّجُق) بأنفِكِ !

(٦)

وحين نطق الزوجُ بهذه الكلمات

التصَق (حَبْلُ السُّجُق) بأنف زوجته الغاضبة

انزعج الزوجُ من هذا الأمر غيرِ المتوقَّع

لأن (فانشون) كانت جميلة ولطيفة

---

(١) العبارة الفرنسية هي (attendez-moi sous l'orme) وهي كناية تقال لمن يعطي موعداً ولا ينوي الوفاء به أو لا يقدر عليه، أو كناية عن الشيء الذي لا يتحقَّق عموماً. (المترجم)

وإذا أردنا قول الحقيقة وبلا تصنُّع

فإن هذه الزينة في هذا الموضع

لم تكن عملاً جيداً

ولو كان (حَبْلُ السُّجُق) متعلقاً بأسفل الوجه

لكان يمنعها من الكلام بيسرٍ

وقد كان غريباً جداً من زوج عجيب

أن لا يفكِّر في هذه اللحظة السعيدة

بأمنية أعظم

وقد كان يقول في نفسه

يمكنني بعد هذه المصيبة الفاجعة جداً

وبالأمنية التي بقيت لي

أن أصبح ملكاً فجأة

فلا شيء يساوي – وهذا صحيح – عظمة السلطان

ولكن عليه أن يفكِّر

كيف ستكون الملكة

وبأي ألم سوف تغرق

لو وضعها على العرش

بأنفٍ أطول من شجرة

وقال : ينبغي لي أن أسمع رأيها بشأن ذلك

وهي وحدها التي تقرِّر

أن تصبح ملكة كبيرة

بأنفٍ مخيفٍ كالذي صار لها

أو تبقى حطَّابةً

بأنفٍ كأنفِ أيِّ شخصٍ آخر

كالذي كان لها قبل هذه المصيبة

(٧)

نظرت الزوجة في هذا الأمر

وفضَّلت أن تحافظ على غطاء رأسها الريفي

على أن تكون ملكة وقبيحة

مع أنها كانت ستملك الصولجان والقوة، والتأثير

ومع أنها – حين تُتَوَّج – سيكون أنفُها دوماً جميلاً[١]

---

(١) يقصد بذلك أن المنافقين المحيطين بصاحب الصولجان سيمدحون أنفها القبيح بأنه جميل جداً ويوجدون مسوِّغات لما يذهبون إليه بأساليبهم الملتوية، في حين أنهم يرونه بينهم وبين أنفسهم من أقبح ما يكون (المترجم) .

(٨)

وهكذا لم يغيِّر الفلاح شيئاً من أحواله
فهو لم يصبح ملكاً كبيراً
ولم تملأ (الإيكوهات) [١] écus كيسه
وكان سعيداً جداً بأن يستعمل الأمنية الأخيرة
مع أن سعادته كانت قليلة وثروته بسيطة
في إعادة أنف زوجته إلى الحالة التي كان عليها

(٩)

وهكذا يكمن الخير الحقيقي للبائسين
والعميان والمغفلين والقلقين والمتقلِّبين
في عدم السعي وراء الأماني
لأن قلَّة قليلة منهم تكون قادرة
على استعمال المنح التي تقدِّمها لهم السماءُ

* * *

(١) الإيكوهات : نوع من العملة كان مستعملاً قديماً في فرنسا. (المترجم)

٣

جِلْدُ الحِمار[١]

La Peau d'âne

تمهيد

هناك أناسٌ ذوو طباعٍ مُتَصنَّعةٍ
وراء جِباهٍ فرِحةٍ دوماً
لا يتألَّمون ولا يَسْتحبُّون أو يقدِّرونَ
إلا ما هو فخمٌ وسامٍ
وأما أنا فأجرؤ أن أقول في الواقع
إن الطبْعَ الأكملَ يمكن أن يحبَّ في بعض الأوقات
ومن غير خجلٍ حتَّى الدُّمَى
وإن هناك أزمنةً وأمكنةً

---

(١) صيغت هذه الحكاية في قالَبٍ شعري، ولذا كان لزاماً علينا أن نحافظ على هذا الشكل دون الوزن والقافية. (المترجم)

يمكن أن يُبْدِيَ الخطيرُ والجادُّ فيها
تُرَّهاتٍ لطيفةً
فلماذا يندهش المرءُ
من كون العقلِ الأكثر سَداداً
يَكِلُّ – أحياناً – من طول السَّهَر ؟
أو يغفو بسرور
على حكايات الغيلان والجنيات
التي تهدهده ببراعة ؟
وهكذا ومن غير أن أُتَّهَم
بسوء استثمار أوقات فراغي
سأروي لكم لإشباع رغبتكم الصادقة
أقصوصة (جِلْدِ الحمار)

الأقصوصة

(١)

كان في قديم الزمان ملِكٌ

من أكبر ملوك الأرض

وكان لطيفاً في السِّلْم رهيباً في الحرب

وكان - أخيراً - فريد عصره ولا يشبهه أحدٌ

وكان جيرانه يخشون سطوته .. فكانت دولهم هادئة

وكان المرء يرى الازدهار في كل مكان

في ظلال نخيله

وكانت الفضائل والفنون الجميلة تزدهر عنده أيضاً

وكان نصفُه اللطيف أعني رفيقتَه المخلِصة

فاتنة جداً ورائعة الجمال

وكان طبعها في غاية الدَّمَاثة والرِّقَّة

حتى إن الملِك السعيد لم يكن أقل سعادة منه زوجاً

ومن زواجهما اللطيف العفيف

المفعَم بالرقة والسرور

وبكثير من الفضائل

ولدت لهما بنتٌ

فكانا يتسلَّيان معها بهناء

عن عدم وجود ذُرِّيَّةٍ واسعةٍ لهما

(٢)

لم يكن في قصر الملك الواسع الفارِهِ

سوى الأُبَّهَة

وكان في كل مكان منه عددٌ كبيرٌ

من رجال الحاشية والخدَم

وكانت في إسطبلاته

خيولٌ كبيرة وصغيرة من كل الأصناف

عليها سروجٌ جميلة

وأعِنَّة مُذَهَّبةٌ ومطرَّزةٌ

غير أن ما كان يفاجئ الناس جميعاً

عند الدخول إلى القصر

وفي أبرز مكان فيه

وجود حمارٍ يبسط أذُنيه الكبيرتين ..

قد يفاجئك هذا الأمر

لكنك حين تعلم فضائل هذا الحمار

التي لا نظير لها

تجد أن الشرف كان عظيماً جداً

(٣)

فقد كوَّنت الطبيعةُ هذا الحمارَ هكذا

واضحاً جداً

فهو لا ينطق كلاماً بذيئاً

ولكن كثيراً من (الإيكوهات) الجميلة في الشمس

وكثيراً من (اللويسيات) [١] ومن كل الأنواع

كانت تُجْمَع من مِهادِ القَشِّ الأصفر تحته

عند استيقاظه في كل صباح

(٤)

إن السماء التي تَمَلُّ أحياناً من إسعاد الناس

تمزِج دوماً نعمتها ببعض المصائب

وهكذا سمح المطرُ في جو جميل

---

(١) وهي جمع (لويسية) وهي الليرة الذهبية المنسوبة إلى ملك فرنسا الشهير (لويس الرابع عشر). (المترجم)

لمرضٍ عنيف مفاجئ

أصاب الملكة بأن يهاجم الأيام الجميلة

وتم البحث في كل مكان عن العون

ولكن لا المعرفة التي حصَّلها الإغريقي[١]

ولا المشعوذون المعروفون

استطاعوا أن يطفئوا الحريق

الذي كانت الحمَّى قد أشعلته في جسد الملكة

وهو يزداد باستمرار

قالت الملكة لزوجها الملك

عندما حانت ساعتها الأخيرة :

أطلب إليك قبل موتي شيئاً واحداً

هو إنْ حدَّثَتْكَ نفسُك

في أن تتزوَّج بعد موتي

فقال الملِك :

لا داعي لأن تقلقي

فأنا لن أفكِّر في ذلك ما دمتُ حياً

---

(١) لعله يعني الطبيب الإغريقي الشهير (**أبوقراط**). (المترجم)

فكوني مستريحة البال

ردَّت الملكة قائلة :

أنا أصدِّق ذلك تماماً

إذا ما أخذتُ حبَّك العارمَ شاهداً عليه

ولكن لتجعلَنِي أكثر اطمئناناً

أريد أن أسمع قَسَمَاً منك

مقترناً بهذا الطبع

بأن لا تتزوج إلا إن صادفتَ امرأة أجملَ

وأقوى وأكثر حكمةً مني

وعندها يمكنك أن تعطيها بصراحة عهدك

وأن تتزوَّج منها

إنَّ ثقة الملكة بمحاسنها

دفعتها إلى التفكير في وَعْدٍ كهذا

بصيغة قَسَمٍ مخادِعٍ في الخطاب

ونيتها ألا يتزوَّج الملِكُ أبداً

وهكذا أقسم الملك وعيونه تستحمُّ بالدموع

على كل ما طلبت الملكة منه

وماتت الملكة بين ذراعيه

ولم يُحْدِثِ الزوجُ كثيراً من الضجيج

وهو ينتحب في الليل والنهار

حتَّى قيل إن حِدادَه لن يستمرَّ طويلاً

وإنه كان يبكي حبَّه الراحل

كرجلٍ مُرْهَقٍ يحاول أن يتخلَّص من الأمر

(٥)

وإذا صدق الظنُّ

كان الملكُ يرغب

بعد بضعة أشهر

في مباشرة خِيَارٍ جديد

ولم يكن ذلك أمراً سهلاً

لأن عليه المحافظة على قَسَمِه

بأن تملِك الزوجة الجديدة

محاسنَ أكثر من محاسن تلك التي وضعها في مثواها الأخير

وأن تملك جاذبية أكبر من جاذبيتها

(٦)

لم يستطع البلاطُ الزاخرُ بالجمال

ولا الريفُ ولا المدينةُ

ولا الممالكُ المحيطةُ جميعاً

أن تقدِّم له امرأةً مثلَها

وكانت الأميرةُ وحدها الأجملَ

وكانت تملك بعض الإغراءات الرقيقة

التي لم تكن أمها تمتلكها

ولاحظ الملكُ نفسُه ذلك

وتنبَّه عليه بجنون

وهو يتحرَّقُ من عشقٍ مفرطٍ

حتَّى إنه رأى أن يتزوَّج منها لهذا السبب[١]

ولَقِيَ كذلك مُفْتِيَاً

حكَمَ له بأن القضيةَ يمكن النظرُ فيها

وحين سمعت الأميرةُ الحديث عن حبٍّ كهذا

راحت تبكي وتنتحب ليلاً ونهاراً

---

(١) يلاحظ في هذا الجزء من الحكاية الشعبية تعارض عميق مع تعاليم الديانة المسيحية والإسلامية في قواعد المحارم، وهو يخدش قواعد الأخلاق والطبيعة البشرية، ولكن للحكايات الشعبية والأسطورية عُقَدها وعوامل تشويقها الخاصة بها. (المترجم)

وامتلأت روحها بألفٍ من الأحزان

وهرَعتْ تبحث عن عَرَّابتها (إشبينتها) الجنية

بعيداً في كهفٍ معزولٍ

عن اللؤلؤ والمرجان المصوغِ بأُبَّهَةٍ

لقد كانت عَرَّابتُها جنِّيَّةً عجيبةً

لا نظير لها في الصَّنْعَةِ أبداً

وليست هناك حاجة لأن يُقَال لك

ماذا تعني جنيةٌ في هذه الأوقات العصيبة

(٧)

قالت الجنيةُ وهي ترى الأميرة :

إنني أعلم ما الذي جاء بكِ إليَّ

وأعلم ما في قلبكِ من الحزن العميق

ولكن لا تقلقي وأنتِ معي

فليس هناك شيء يمكن أن يزعجك

شريطةَ أن تنقادي لنصائحي

لأن أباك وهذا صحيح يرغب في الزواج منك

وإن الإصغاء لطلبه الجنوني

سيكون خطيئة عظيمة جداً

ولكن يمكن رفضه من غير معارضته ..

(٨)

قولي لأبيك إن عليه أن يقدِّم لك

لتحقيق سعادتك

ولئلا يهجُر حبُّه قلبَك

ثوباً يكون لونه من لون الزمان

فإنه سيعجز عن إنجاز وعده

على الرغم من كل سلطانه وكل ثروته

ومع أن السماء تحابي رغباته عموماً

(٩)

ذهبت الأميرةُ الشابةُ في الحال

لتذكر هذا الطلب وهي ترتجف لأبيها العاشق

الذي أمر فوراً

بإحضار أهم الخياطين

وقال لهم إن لم يصنعوا له ومن غير انتظارٍ طويلٍ

ثوباً يكون لونه من لون الزمان

فليوقنوا أنه سيشنقهم جميعاً

(١٠)

لم تُشْرِق شمسُ اليومِ التالي

حتَّى حُمِل الثوبُ المطلوب إلى الملك

ولم يكن الأجملُ والأشدُّ زُرْقَةً في السماء

حين يتزنَّر بغيومٍ ذهبيةٍ ضخمةٍ

أشدَّ زرقةً من هذا الثوب

ولم تعرف الأميرةُ المفعمةُ بالحزن

ماذا تقول

ولا كيف تتخلَّص من عهدها

فقالت لها عرَّابتُها بصوتٍ خفيضٍ :

اطلبي أيتها الأميرة من الملك

ثوباً أكثرَ بريقاً وأقلَّ شيوعاً

يكون لونُه من لون القمر

ولن يعطيَك إياه

وما كادت الأميرة تطلب منه ذلك

حتَّى قال الملك لخياطه :

أريد ثوباً أكثر تألُّقاً من القمر

وأن تأتيني به بعد أربعة أيام فقط

(١١)

تمَّ إنجاز الثوب الفاخر في اليوم الموعود

كما وصفه الملك

فكان القمرُ

في السماء والليلُ ينشر فيها أشرعته

أقلَّ بهاءً بثوبه الفضي منه

وجعل نورُه القويُّ

النجومَ شاحبةً

(١٢)

كادت الأميرةُ المندهشة من هذا الثوب العجيب

أن ترضى به

لكنها قالت للملِك العاشق

بإلهامٍ من عرَّابتها :

إنني لن أكون سعيدة

حتَّى يكون لي ثوبٌ أكثرُ بريقاً

ولونُه من لون الشمسِ

استدعى الملكُ الذي كان يحبُّها حباً لا مثيلَ له فوراً

صائغَ أحجار كريمة غنياً

وأمره بأن يصنع ذلك الثوب

من نسيج ذهبي بديع وماسٍ

وقال له إن لم يعجبه تماماً

فسوف يقتله بعذابٍ أليم

(١٣)

وقد أُعْفِيَ الملكُ من إنزال ذلك العقاب به

لأن ذلك العامل الماهر

حمل قبل نهاية الأسبوع

الثوبَ المتقنَ الجميل جداً

والزاهي الوضَّاء جداً

كالعاشق الأشقر (كليمين) Clymène

حين كان يتنَزَّه

وهو داخل عربته الذهبية

في قبَّة السماء

بضوء شديد يكاد يَبْهَر العيون

(١٤)

لم تَرَ الأميرة التي انتهت بها هذه الهِبَاتُ

إلى الارتباك سوى الاستجابة لأبيها ومليكها

إلا أن عرَّابتها أخذتها فوراً من يدها

ووشوشتها قائلة : لا يجب أن نتوقَّف في الطريق

لأن كل هذه الهدايا التي تلقيتِها

ليست بمعجزة كبيرة

مادام عند الملِك الحمارُ الذي تعرفينه

فهو الذي يملأ خزائنه بـــ (الإيكوهات) الذهبية

من غير انقطاع

فاطلبي منه جلد هذا الحيوان النادر

ولن تحصلي عليه

لأنه كلُّ ثروته

وإلا فإن تفكيري غير صائب

(١٥)

لقد كانت هذه الجنيَّةُ عالمةً تمامَ العلمِ

ولكنها كانت مع ذلك تجهل

أن المرءَ أحياناً لا يعُدُّ الفضة والذهب شيئاً

في سبيل إرضاء حبِّه العنيف

ولهذا منح الملِك الأميرةَ جلدَ الحمار بكل لطفٍ

حين طلبتْه منه

(١٦)

ولما حُمِلَ جلد الحمار إلى الأميرة

شعرتْ برعبٍ شديدٍ

وراحت تشكو مصيرها بمرارة

وهنا وصلتْ عرَّابتُها فجأة

وذكَّرتْها بأن المرءَ الذي يعمل خيراً

لا ينبغي له أن يخاف من شيء وقالت لها :

يجب حملُ الملِكِ على الاعتقاد

بأنكِ قد أصبحتِ الآن جاهزةً

لأن تتحمَّلي معه عبءَ الزواج

على أن تنطلقي في الوقت نفسه

وحيدةً ومتنكِّرةً إلى دولةٍ بعيدةٍ

لتتجنَّبي الشرَّ الوشيكَ
الذي سيقع عليكِ حتماً
(١٧)
وتابعت عرَّابتُها تقول : وهذا صندوقٌ كبيرٌ
سنضع فيه كلَّ ثيابك
ومرآتَك وزينتَك
وماساتِك ويواقيتَك
وسأعطيكِ أيضاً خاتَمي
فإن وضعتِه في إصبعكِ
فإن الصندوق سيسير في دربِك نفسِه
وسيكون سيرُه تحت الأرضِ دوماً
وحين ترغبين في فتحه
فإن عصاي ما إنْ تمسُّ الأرضَ
حتَّى يظهر لكِ الصندوقُ فوراً
(١٨)
وكي لا تكوني معروفةً
فإن جلدَ الحمار سيكون قناعاً مدهشاً

فتواري جيِّداً داخل هذا الجلد

وما دام مخيفاً فلن يعتقد أحدٌ

أنه يحتوي على شيء جميل

(١٩)

وهكذا تنكَّرتِ الأميرةُ

ثم خرجت بعد قليل من بيت الجنية الحكيمة

مع ندى الصباح

وعرف الملِك الذي كان يستعد لحفل قِرانِه

قدَرَه النَّكِد وهو مرتعبٌ

حتَّى إنه لم يدع بيتاً ولا درباً أو جادَّةً

لم يبحث فيها بسرعةٍ

غير أنه كان يبحث عبثاً

ولا يستطيع المرء أن يتنبَّأ بما ستصير إليه الأميرة

(٢٠)

في كل مكان خيَّم حزن وغمٌّ أسود

ومزيدٌ من الأعراس والولائم

ومزيد من الفطائر والحلوى

ولكن أغلب سيدات القصر
فاترات العزم لم يكنَّ يتعشَّيْنَ منها
وكان حزن الكاهن من ذلك عظيماً
لأنه كان يتغدَّى منه متأخراً
والأسوأ منه أنه لم يكن عنده قربان

(٢١)

وفي هذه الأثناء كانت الأميرة تواصل سيرها
وكان وجهها مغطَّى بوسخ كريه
وكانت تستجدي كل العابرين
وتسعى للعثور على مكان تخدم فيه
غير أن أشقى الناس وأكثرهم تساهلاً
كانوا يرونها كالحة الوجه
ومليئة جداً بالأقذار
فلم يكونوا يرغبون في مخلوقة قذرة جداً
ولا في أخذها إلى بيوتهم
وهكذا ذهبت بعيداً جداً
وبعيداً جداً بل وأبعد

وأخيراً وصلت إلى مزرعةٍ
كانت صاحبتها في حاجة
إلى خادمة تغسل لها الأواني
وتمتد مهمتها حتى إلى غسل المماسح جيداً
وتنظيف معالف الخنازير

(٢٢)

وقد وضعها أهل البيت في زاوية بأقصى المطبخ
حيث الخدمُ والحثالةُ الوقحة
الذين لم يفعلوا شيئاً سوى مضايقتها
ومعاكستها والسخرية منها
ولم يكونوا يعرفون كيف يلحقون بها الضرر
وكانوا يرهقونها في كل مناسبة
وكانت هدفاً عادياً
لكل مزاحهم الثقيل ونُكَتِهم

(٢٣)

وكانت ترتاح يوم الأحد راحة أكثر بقليل
لأنها كانت بعد أن تؤدي عملها البسيط في الصباح

تدخل إلى غرفتها وتغلق بابها

وتنظِّف وجهها ثم تفتح صندوقها

وتأخذ طاولة زينتها على وجه الخصوص

وترتِّب عليها قواريرها الصغيرة

وأمام مرآتها الكبيرة كانت سعيدة راضية

سواء من قمر ثوبها الذي كانت ترتديه

أم من القمر الذي كانت أشعة الشمس تنيره

أو من الثوب الأزرق الجميل

الذي لا تشبهه زرقة جميع السماوات

وكانت تشعر بحزن وحيد من كون ذيله الجرار

لا يمكن أن يُفْرَد على أرضية الغرفة الصغيرة جداً

لقد كانت تريد أن ترى نفسها شابة حمراء وبيضاء

وأكثر شجاعة بمئة مرَّة من أي امرأة أخرى

لقد كانت هذه المتعة اللطيفة تغذيها

وتوصلها إلى يوم الأحد التالي

(٢٤)

نسيتُ أن أقول لكم

إنه في هذه المزرعة الكبيرة

التي كانت لملكٍ كبيرٍ

كانت تربِّى مجموعة حيوانات نادرة :

كالدجاج البرباري barbarie ،

والتفالِقِ râles والدجاجِ الفرعوني

والغاقاتِ cormorans والإوَزِّ والبطِّ

وألفِ طير آخر ذي أشكال غريبة

وبعضها يختلف عن البعض الآخر

وكانت تلبي حاجة عشرة قصور كاملة

(٢٥)

كان ابنُ الملك يأتي أحياناً

إلى هذا المكان الساحر

عند العودة من رحلة قَنْص

ليرتاح ويشرب قدحاً

مع كُبَراء قصره

وقد كانت هيئته ملكية

وكان مظهره حربياً

يجعل الكتائب الأكثر ثقة بنفسها ترتجف أمامه

رأته (جلدُ الحمار) من بعيد جداً بمحبَّةٍ

وأدركت بقوة

أنها كانت لا تزال

على الرغم من قذارتها وأسمالها البالية

تحتفظ بقلب أميرة وكانت تقول عنه

إن هيئته عظيمة على الرغم من إهماله لنفسه

وهو لطيف

وإن الجميلة التي سيتعلَّق بها قلبه

ستكون سعيدة

وإذا ما شرَّفني فإن ثوباً من لا شيء

سيكون عندي أجمل بكثير

من كل الأثواب التي أملكها

(٢٦)

وفي يوم من الأيام

كان الأميرُ هائماً على غير هدى

من فِناء طيور إلى آخر

فمرَّ في رُواقٍ مظلمٍ
كانت فيه غرفةُ (جلد الحمار) المتواضعة
وقد وضع الأميرُ مصادفةً عينَه على ثُقْب القُفْلِ
فكان هذا اليومُ عيداً له
فقد كانت الأميرةُ تضع حِلْيةً ثمينةً
وترتدي ثياباً رائعةً
كانت تضاهي بنسيجها الذهبي الخالص
وماساتها الكبيرة ضوءَ الشمسِ الأكثرَ صفاءً
وقد تأمَّلها الأميرُ وهو مستسلِمٌ لرغبته
ولم يستطع التقاطَ أنفاسِه حين رآها
إلا بصعوبة لفرط ما كان مفعماً بالسرور
وإذا كانت ثيابُها وجمالُ وجهِها
وخَصْرُها الدقيقُ وبياضُها الناصعُ
وملامحُها الرقيقةُ ونضارةُ شبابِها
قد أثَّرتْ فيه مئة مرَّة أكثر
فإن بعضَ مظاهر العظمة
والحياءَ العاقلَ المتواضِعَ

وجمالَ روحِها
استولت جميعاً على قلبه كلِّه

(٢٧)

وكان قد همَّ ثلاثَ مرَّاتٍ بأن يخلع البابَ
من حرارة النار التي أثارتْه
وكفَّ يدَه عن ذلك ثلاثَ مراتٍ إجلالاً للفتاة
لأنه كان يعتقد أنه يرى فيها إلهةً للجمال

(٢٨)

اعتزل الأميرُ في القصر وهو منشغل البال
وكان يتنهَّد بالليل والنهار
ولم يكن يرغب في الذهاب إلى الاحتفال
حتَّى لو كان احتفالَ (الكرنفال)
وكرِه القَنْصَ كما كره التمثيل
وذهبت شهيتُه للطعام
وصار أيُّ شيءٍ يوجِع قلبَه
وأُصيْبَ بخمولٍ حزين وقاتل

(٢٩)

وسأل الأميرُ عَمَّنْ تكونُ هذه الحوريَّةُ العجيبةُ

التي تسكن في فِناء الطيور

وفي آخرِ رُواقٍ مخيفٍ

لا يُرَى فيه شيءٌ في وضَحِ النهار ؟

فقالوا له : إنها (جلد الحمار)

وهي ليست حُوريَّةً ولا جميلةً في شيء

وقد سميت (جلد الحمار)

لأنها تضع جلده على عنقها

فهل دواء حبِّه الحقيقي

هذا الحيوانُ الأكثر قبحاً بعد الذئب ؟

لقد قالوا الحقيقة

ولكنه لم يستطع تصديقها

لقد كانت العلاماتُ التي رسمها له الحبُّ

حاضرةً في ذاكرته دوماً

ولن تَمَّحِيَ منها أبداً

(٣٠)

وكانت أمُّه الملكةُ في هذه الأثناء

تبكي يائسة لأنها لا تملك ولداً سواه

ولكنها كانت تكبتُ ألمها عبثاً

بدلاً من إعلانه

وقد كان الابنُ يئِنُّ ويبكي ويتنهَّدُ

ولم يكن يقول شيئاً

سوى أنه يريد من (جلد الحمار)

أن تصنع له حلوَى بيديها

ولم تفهم الأمُّ ماذا يعني بذلك

وقيل لها : يا للسماء سيدتي

إن (جلد الحمار) هذه شديدةُ السَّواد

وهي أقبحُ وأقذرُ من أكثر خَدَم المطبخ قذارةً !

فقالت الملكةُ : هذا لا يُهِمُّ ينبغي إرضاءُ الأمير

وعلينا أن نفكِّر في ذلك فقط

كان عند الأم كثير من الذهب أكثر مما كانت تحبُّ

لو كان ابنُها يريد أن يأكل منه

وهكذا أخذت (جلدُ الجمار) طحينَها
الذي كانت قد نخلته عمداً
لتجعل عجينتَها أرقَّ
كما أخذت ملحَها وسمنَها وبيضَها الطازجَ :
وحتَّى تصنع فطيرتَها صنعاً جيداً
أقفلت على نفسها الباب وحيدةً في غرفتها
وغسلَتْ في البداية يديها
ووجهها وذراعيها
وارتَدَتْ ثوباً فضياً وشدَّتْه بسرعةٍ
للقيام بعملها الذي بدأت به فوراً بجدارةٍ

(٣١)

ويقال : سقط من إصبعها في العجين
وهي تعمل بعجلةٍ قليلاً
أحدُ خواتمها ذات القيمة الكبيرة
غير أن مَنْ يعرفون خاتمة هذه الأقصوصة
يؤكِّدون أنها قد وضعت ذلك الخاتَم فيه عمداً
وأرى صراحةً أنني أميل إلى تصديق ذلك

لأنني متأكِّدٌ تماماً من أن (جلد الحمار)
قد لمحت الأمير حين اقترب من بابها
ونظر من ثقب القفل
وفي هذا الموضوع تكون المرأة متنبِّهةً جداً
وتلتفت عينُها بسرعة عظيمة
فلا يستطيع المرء النظرَ إليها لحظةً واحدةً
من غير أن تعرف أنه قد رآها
وأنا متأكِّدٌ تماماً أيضاً وأُقْسِم على ذلك
من أنها لم تكن تشكّ لحظةً في أن عاشقها الشابَّ
سيتقبَّلُ خاتَمَها بقبولٍ حسنٍ

(٣٢)

لم يصنع أحدٌ قطُّ مثل هذه القطعة
وقد وجدها الأمير لذيذةً جداً
ولم يكن ينقصه شيء سوى جوعٍ نَهِمٍ
حتَّى يبتلِع الخاتَمَ أيضاً :
فهو حين رأى زُمُرُّدَتَه العجيبةَ
وحلقتَه الذهبية الدائرية الضيِّقة

التي كانت تدلّ على شكل الإصبع

تأثَّر قلبُه بفرحةٍ لا تُصَدَّقُ به

ووضعه فوراً تحت وسادتِه

وزاد عليه ألَمُهُ باستمرار

وقد حكم عليه الأطباءُ الحكماءُ

من خلال تجربتهم وعلمهم الواسع

حين رأوه يهزل يوماً بعد يوم

بأنه مريض من الحبِّ

(٣٣)

وبما أن الزواج

هو الدواء اللذيذ لهذا الداء

فقد قرروا في القصر أن يزوِّجوه

وانشغل هو بعض الوقت بالدعاء

ثم قال : أريد الزواج

بشرط أن أتزوَّج الفتاة التي يناسبها هذا الخاتَم !

فوجئ الملك والملكة بهذا الطلب الغريب مفاجأة كبيرة

وكان على درجة من السوء أن أحداً لم يجرؤ على أن يقول له: لا.

وهكذا بدأ البحث عن تلك التي سيضعها هذا الخاتَمُ

من غير أي اعتبار للدم

في مرتبةٍ عاليةٍ جداً

ولم تبقَ فتاةٌ لم تتهيَّأْ للحضور حتَّى تعرِض إصبعَها

ولم يكن هنالك مَنْ يرغب في التخلِّي عن حقِّه هذا

وقد سَرَت بين الناس إشاعة تقول :

إن من تطمح إلى الزواج من الأمير

يجب أن تكون إصبعُها نحيلة

وزعَم كلُّ مشعوذٍ في البلاد لكي تكون بضاعته مطلوبة

أنه يملك السر الذي يجعل الأصابع نحيلة :

فقد نحتت واحدة وهي تتبِع هواها الغريب

إصبعَها كحبة لِفْتٍ

وبترتْ واحدةٌ أخرى قطعةً صغيرةً منها

وكانت واحدة ثالثة تظنّ أنها تصغِّرها بالضغط عليها

وواحدة رابعة سلخت جلدها ببعض الماء المغليّ

لتبدو أقلَّ ضخامة

ولم تبقَ طريقة أخرى لم تطبِّقْها امرأة

حتَّى تجعل إصبعَها تناسب الخاتَمَ تماماً

(٣٤)

بدأت المحاولات بالأميرات الشابات

والمركيزات والدوقات

ولكن أصابعَهنَّ على الرغم من أنهن مترفات

كانت ضخمة جداً ولم تدخل في الخاتَم

ثم إن الكونتيسات والبارونات

وكل النبيلات عرضن أصابعَهن واحدة تلو الأخرى

ولكن من غير طائل

(٣٥)

وأخيراً جاء دور العاملات

ذوات الأصابع الجميلة والرفيعة

لأنهن مخلوقاتٌ خلقاً تاماً

فبدا كأن الخاتَمَ يناسبها أحياناً

غير أن الخاتَمَ الذي كان مدوراً

وصغيراً جداً

كان دائماً يردّ بازدراء متساوٍ تقريباً كلَّ الناس

(٣٦)

وكان يجب - أخيراً – إحضارُ الخادماتِ
والطبَّاخاتِ والدَّوَّاراتِ والمشرفاتِ على الطيور
وباختصار : إحضارُ كل من هو قليل الأهمية[١]
حيث كانت الأصابعُ الحمرُ والسودُ
شأنُها شأنُ الأيدي الناعمة
ترجو الحصول على قَدَرٍ سعيدٍ
وقد حضرت فتياتٌ كثيراتٌ
أصابعُهنَّ ضخمةٌ وغليظةٌ
فلم تدخل في خاتَمِ الأمير
لأنها كانت مثل حَبْلٍ إزاءَ ثُقْبِ إبرة

(٣٧)

وتَمَّ الاعتقاد في نهاية المطاف أن الأمر قد انقضَى
لأنه لم يبقَ في الحقيقةِ سوى (جلدِ الحمار) في أقصى المطبخ

---

(١) نلاحظ بوضوح من هذه العبارات نوعاً من الطبقية والتعالي في الحكاية الشعبية الفرنسية على طبقة الفقراء والعاملين في المهن البسيطة. (المترجم)

وكان الناس يقولون : كيف يمكن أن نعتقد

أن السماء قد هيَّأَتْها لتحكُم ؟

وقال الأمير : ولِمَ لا تحضرونها ؟

فشرع الجميع يضحكون

ويصيحون بأعلى صوت : ما الذي يعنيه

بإدخال هذه القبيحة القذرة إلى هنا ؟

ولكنها حين أخرجت من تحت جلدها الأسود

يداً صغيرة كانت تشبه العاج

وقد لوَّنتْها حمرةُ الخجلِ قليلاً

وحين أحاط الخاتَمُ بدقَّةٍ لا نظير لها

بإصبعِها الصغيرةِ

أصابتْ كلَّ مَنْ في القصر مفاجأةٌ

لم يكن بالإمكانِ فهمُها

(٣٨)

وبهذا التحوُّل المفاجئ أرادوا أخذها للمثول أمام الملك

ولكنها سألتهم قبل شخوصِها بين يديه

أن تُمْنَحَ بعضَ الوقتِ لترتدي ثوباً آخر

وللحقيقة : كان الجميعُ ومن كل جانب
يتهيَّؤون للضحك من هذا الثوب الآخر
غير أنها وصلت إلى أجنحة القصر
وأخذت تجتاز قاعاته بثيابها الفخمة
ذات الجمال الوافر الذي لا نظير له
وبشعرها الأشقر الرائع
المرصَّع بالماس المشعِّ ببريقٍ قويٍّ
ناشراً مزيداً من الأضواء
وبعينيها الزرقاوين الكبيرتين الجميلتين
المليئتين بهيبة النُّبْلِ
اللتين لم تكونا تنظرانِ إلى أحدٍ
من غير أن تمتعاه وتجرحاه
وبقامتها الرشيقة الناعمة جداً
ويديها اللتين تغريان المرء بتقبيلهما
وبمحاسنها وإغراءاتها المختلفة
فهَمَدتْ سيداتُ القصر وزينتُهُنَّ
وكلُّ أنواع الزخرفات البديعة الأخرى

(٣٩)

لم يتمالك الملكُ نفسَه

وسطَ الفرحةِ والضجيج اللذين عَمَّا الجميعَ

من الاستمتاع بالنظر إلى كَنَّتِه التي كانت تملِك جاذبية كبيرة

وتعلَّقَتِ الملكةُ بها

وامتلأتْ نفسُ الأميرِ عاشِقِها

بمئة مسَرَّةٍ ومسرة

وناءَ تحتَ ثِقْلِ النشوةِ

(٤٠)

ومن أجل حفل الزواج

اتَّخذ كلٌّ منهم استعداداته فوراً :

فدعا الملِكُ جميعَ الملوكِ المجاورين

فغادروا دولَهم لحضور هذا اليوم المشهود

وهم يتألَّقُون جميعاً بالحلِيّ المختلفة

وقد رأى الناسُ بعضَهم يأتون من أقاليم المشرق

راكبين على فِيَلَةٍ ضخمةٍ

وأتى بعضُهم من الساحل الأسود

فكانوا يُفْزِعُون الأطفالَ الصغارَ

بسوادِهم وقُبْحِ وجوههم[1]

ووصل بعضهم أخيراً من كل أنحاء العالم

وغَصَّ بهم القصرُ

غير أن أيَّ أمير أو أيَّ ملِكٍ حضَر

لم يظهر بأناقةٍ تفوق أناقةَ والدِ العروس

الذي كان مغرماً بها من قبلُ

وقد أخمدَ بمرور الزمان النيرانَ

التي كانت نفسُهُ تحترِق بها

ونفَى عنه كلَّ رغبةٍ إجرامية

ولكن القليلَ الذي بقي في نفسه

من هذا اللهيبِ المقيتِ

أجَّجَ حُبَّه الأبويَّ لها تأجيجاً

(٤١)

وقد قال حين رآها : ما أبركَ السماءَ

---

(١) ونلاحظ هنا العنصرية الواضحة في الحكاية الشعبية الفرنسية. (المترجم)

التي أرادتْ لي أن أراكِ ثانيةً

يا طفلتي الغالية !

وكان يبكي من الفرحة

وهرول برقَّةٍ لمعانقتها

إن كلَّ إنسان يسعى للاهتمام بسعادته

وانتشى زوجُ المستقبل حين علِمَ

أنه سيصبِحُ صِهْراً لملِكٍ قويٍّ جداً

(٤٢)

وفي هذا الوقت وصلت العرَّابةُ

وروتِ القصَّةَ كلَّها

وبروايتها لها فرغت من إغداق المجد على (جلد الحمار)

الخاتمـة

[١]

ليس من الصعب أن نرى
أن هدفَ هذه القصة هو أن يتعلَّم الأطفالُ
أن الأفضلَ لهم أن يعرِّضوا نفوسَهم
لأقسى أنواع الشقاء
بدلاً من أن يقصِّروا في واجباتهم
وأن الفضيلة يمكن أن تكون تعيسةَ الحظِّ
غير أنها دائماً تنتصِر

[٢]

وأن العقلَ الأشدَّ قوَّةً يكون عائقاً ضعيفاً
في مواجهة الحبِّ المجنون وتقلُّباتِه
وأنه ليس هناك كَنْزٌ عظيمٌ جداً
يمكن أن يبخل به عاشقٌ

[٣]

وأن الماء الصافي والخبز الأسمر

يُغْنِيان في الطعام

عن أي مخلوقٍ

وأنه ليس هناك أنثى تحت السماء

لا تتصوَّر أنها جميلةٌ

شريطةَ أن تمتلِكَ ثياباً فاخرة

أو هي لا تتصوَّر أحياناً

أنها إذا امتلكت المحاسن الثلاثة

التي هي أسبابُ الخصومة الشهيرة[١]

فإنها تكون قد امتلكت التفاحة الذهبية .

[٤]

إن قصة (جلد الحمار) هذه من الصعب تصديقها

ولكن ما دام في العالَم أطفالٌ

وأمَّهاتٌ وجدَّاتٌ

فسيحتفظون بذكراها

* * *

---

(١) لا ندري المراد بالمحاسن الثلاثة التي تكون سبب الخصومات هنا، إلا أن تكون : الجمال، والمال، والسلطة. (المترجم)

٤

اللحية الزرقاء

La Barbe-Bleue

كان لأحد الرجال، في زمن من الأزمان، بيوتٌ جميلةٌ في المدينة وفي الريف، وكانت عنده أوانٍ من ذهب وفضة، وأثاثٌ مزخرفٌ، وعربات مذهَّبةٌ جميعاً، غير أنه كان لسوء الحظ ذا لحية زرقاء جعلته رهيباً وفي غاية القبح، ولم تكن هنالك امرأة ولا فتاة تراه إلا وتفِرّ من وجهه .

وكان لبعض جاراته، وهي سيدة نبيلة، بنتان جميلتان في غاية الجمال، فطلب إحداهما للزواج، وترك لها أن تختار ما تشاء مهراً لها. ولم تكن أيٌّ منهما ترغب في الزواج من رجل ذي لحية زرقاء. ولعل مما أثار اشمئزازهما منه أيضاً أنه كان قد تزوج من قبل نساءً كثيرات، ولم يعلم أحدٌ المصير الذي صِرْنَ إليه بعدئذٍ .

أرسل **اللحية الزرقاء**، بغية التعارف، أم الفتاتين مع ثلاث أو أربعٍ من أفضل صديقاتهن وبعضِ الشُّبَّان من جيرانهن، إلى أحد

بيوته الريفية، فأقاموا فيه جميعاً ثمانية أيام كاملة، لم يكن همهم فيها غيرَ النُّزهةِ ورحلاتِ القنص والصيد، والرقصِ والمآدبِ واللقاءات، حتى إن المرء منهم لم يكن لينام، لأنهم كانوا يقضون الليل كله بالمزاح فيما بينهم، ومضى كلُّ شيء على ما يرام، حتى إن الأخت الصغرى لم تعد ترى سيِّد البيت بلحية زرقاء، ورأت فيه رجلاً فاضلاً جداً.. وتم الزواج بينهما عند العودة إلى المدينة.

وبعد شهر من الزواج قال **اللحيةُ الزرقاء** لامرأته إنه مضطرٌّ إلى السفر إلى الريف لستة أسابيع على الأقلّ من أجل أمرٍ مهمٍّ، وترجَّاها أن تُسَلِّي نفسَها جيداً أثناء غيبته، وأن تُحضِرَ إليها صديقاتها المخلصات، وأن تأخذهن إلى الريف إن شاءت، وأن تتناول الأطعمة الفاخرة. ثم قال لها :

- خذي .. هذه مفاتيح مستودَع الأثاث، وهذه مفاتيح مستودَع أواني الذهب والفضة التي لم تستعمل قط في يوم من الأيام، وهذه مفاتيح خزائن الحديد التي تحتوي على ذهبي وفضتي، وهذه مفاتيح صناديقي التي تحتوي على مجوهراتي، وهذا هو المفتاح الشامل لكل الشقق .. وأما هذا المفَيْتِيْحُ فإنه للحُجَيْرَةِ الواقعة في آخر صالة الشقة السُّفْلِيَّة .. فافتحي كلَّ شيءٍ، واذهبي إلى كل مكان، ولكني أنهاك عن دخول تلك الحُجَيْرَة، فإن حصل أن فتحتِها فلا تنتظري مني سوى غضبي ..

فوعدته بأن تنفِّذ بدقَّةٍ كل ما أمرها به.

ثم إن **اللحية الزرقاء** ركب عربته بعد أن عانقها مودِّعاً، وانطلق في رحلته.

وأما الجيران والصديقاتُ المخلصات فلم يكنَّ ينتظرن من الزوجة الشابة أن تدعوهن للحضور إلى بيتها، لفرط ما كان عندهن من فضول وقلة صبر ليتفرَّجن على كنوز بيت **اللحية الزرقاء** جميعاً، لأنهن لم يكنَّ يجرؤن على المجيء إليه أثناء وجود الزوج فيه، بسبب لحيته الزرقاء التي كانت ترعبهن. وقد شرعن في الحال بالتفرج على الغرف والحجرات وخزائن الثياب التي كان بعضها أجمل من بعض وأروع. ثم إنهن صعِدْنَ بعد ذلك إلى مستودع الأثاث، حتى عجزن عن إبداء الدهشة من كثرة عدد المفروشات وجمالها : من أَسِرَّةٍ، وأرائك، وخزائن، وطاولات، وموائد، ومرايا يرى المرء فيها نفسه من رأسه إلى قدميه، وكان إطار بعضها من زجاج، وبعضها من فضة أو من فضة مذهَّبةٍ، وهي جميعاً من أجمل ما رأته العين ومن أروعه ..

ولم تكن الزائراتُ يكفُفْنَ عن تضخيمِ سعادة صديقتهن وحسدِهنَّ عليها. ولم تكن هذه الصديقة، مع ذلك، تروِّح عن نفسها بالتفرُّج على هذه الكنوز جميعاً، لأن فضولها كان يستنفد

صبرها عن الذهاب إلى حُجَيْرَة الشقة السفلية لتفتحها وترى ما فيها. وكان هذا الفضولُ يُلِحّ عليها إلحاحاً شديداً، حتى إنها لم تكن ترى من سوء الأدب أن تترك صديقاتها وتنسَلّ إلى تلك الحجَيْرَة عن طريق دَرَجٍ سِرِّيّ، وبأقصى سرعة، حتى إنها كانت تظنّ أن عنقها كاد ينكسر مرتين أو ثلاثاً .. وحين وصلت إلى باب تلك الحجيرة، وقفت عنده بعض الوقت مفكِّرةً في النهي الذي كان زوجها قد أصدره لها، وفيما يمكن أن يحصل لها من مكروه إذا عصته، ولكن الإغراء كان قوياً جداً إلى درجة أنها لم تستطع التغلب عليه، وهكذا أمسكت المفيتيح وفتحت باب الحجيرة وهي ترتعد من الخوف .. لم ترَ في بادئ الأمر شيئاً، لأن النوافذ كانت مغلقة، ولكنها أخذت بعد بعض الوقت ترى أرضَ الحجيرة مغطَّاةً بدمٍ متخثِّرٍ.. كما رأت أجساداً كثيرة لنساء ميتات ممدة على هذا الدم، وهي مقيدة على مدار الجدران.. لقد كانت هذه الأجساد جميعاً لأولئك النسوة اللواتي كان **اللحية الزرقاء** قد تزوج بهن، ثم إنه ذبحهن واحدة تلو أخرى.. فشعرتْ أنها تكاد تموت من الخوف وسقط من يدها مفيتيح الحجيرة حين انتزعته من القُفْل، ثم استعادت أنفاسها بعد قليل، والتقطت ذلك المفيتيح، ثم أغلقت الباب، وصعِدت إلى غرفتها لتهدأ قليلاً، غير أنها لم تستطع أن تفعل، نظراً لفرط تأثُّرها بما رأت.

لاحظت الزوجة أن مفيتيح الحجيرة كان ملوَّثاً بالدم، فقامت بمسحه مرَّتين أو ثلاثاً، غير أن الدم بقي عالقاً به، ثم إنها غسلته، ودعكته بالرمل، ولكن الدم لم يزُل عنه لأنه مفيتيحٌ سحريّ، ولم تكن هنالك أي وسيلة لتنظيفه تنظيفاً تاماً، فقد كانت تزيل الدم من جهة ليعود من جهة أخرى .

عاد **اللحية الزرقاء** من سفره في مساء اليوم نفسه، وزعم أنه تلقَّى، وهو في الطريق، رسائل تعلمه بأن العمل الذي يسافر من أجله قد تم إنجازه له. وقد عملت الزوجة كل ما تستطيع لتظهر لزوجها بمظهر المتهلِّلة لعودته السريعة .

وفي اليوم التالي طلب منها المفاتيح، فأعطته إياها، ولكن بيد مرتعشة وَشَتْ من غير مشقةٍ بكل ما جرى .. فقال لها :

- لِمَ لا أرى مفيتيح الحجيرة مع هذه المفاتيح ؟

فردت بقولها :

- لعلي نسِيتُه فوقُ على طاولتي !..

فقال لها :

- لا تنسَيْ أن تحضريه بعد قليل ..

عمدت الزوجة إلى تأخير إحضار المفتيح قدر الإمكان، إذ كان لا بد من إحضاره، فتفحصَّه **اللحية الزرقاء**، ثم قال لها :

- من أين هذا الدم على المفيتيح ؟

فأجابته المسكينة وهي أكثر شحوباً من الميِّت :

- لا أدري عنه شيئاً ..

فقال :

- أنت لا تدرين عنه شيئاً، ولكني أعرف هذا الشيء جيداً .. لقد رغبتِ في الدخول إلى الحجيرة يا سيدتي !.. ثم دخلتِ إليها .. وستأخذين مكانك عند أولئك السيدات اللواتي رأيتِهنَّ هنالك ..

فارتمت على قدمي زوجها، وهي تبكي، طالبة إليه أن يصفَح عنها، وأظهرت كلَّ علامات الندم الحقيقي على عصيانها أمره. وكان بإمكان امرأةٍ جميلة وحزينة مثلِها أن تليِّن صخرةً بتلك التوسُّلات، ولكن **اللحية الزرقاء** كان ذا قلب أقسى من الصخر، إذ قال لها :

- يجب أن تموتي يا سيدتي .. وفي الحال !..

فقالت له وهي تنظر إليه بعينين دامعتين :

- إن كان عليَّ أن أموتَ فأعطِني بعض الوقت لأصلِّي لله ..

فردّ عليها بقوله :

- سأمنحك ربع ساعة لا أكثر ..

فلما أصبحت وحدها دعت أختها وقالت لها :

- أختي **آنّ** Anne (وكان هذا اسمها) ، اصعدي أرجوك إلى أعلى البرج، لتري إن كان أخواي سيأتيان، فقد وعداني بأنهما سيأتيان لرؤيتي اليوم، فإذا رأيتِهما فأشيري إليهما بأن يسرعا ..

فصعِدت الأخت **آن** إلى أعلى البرج، وكانت الزوجة المسكينة الحزينة تصيح لها من وقت لآخر :

- **آن** أختي .. **آن** .. أَلم تري أحداً قادماً ؟

وكانت أختها **آن** تجيبها بقولها :

- لستُ أرى شيئاً سوى الشمس المغْبَوبِرَة والعشب المخْضَوضِر ..

وفي أثناء ذلك صاح **اللحية الزرقاء** لامرأته بكل قوة وهو يمسك سكيناً كبيرة بيده قائلاً :

- انزلي إليَّ بسرعة وإلا صعِدتُ إليك ..

فردَّت عليه بقولها :

- بعد لحظة من فضلك !

ثم صرخت لأختها في الحال صراخاً خفيضاً قائلة :

- **آن** .. يا أختي ألم تري أحداً قادماً ؟

وكانت الأخت تجيبها بقولها :

- لستُ أرى شيئاً سوى الشمس المغْبَوبِرَة والعشب المخْضَوضِر..

وكان اللحية الزرقاء يصيح من تحت :

- انزلي إليَّ بسرعة وإلا صعِدتُ إليك ..

وكانت امرأته ترد عليه :

- سأحضر حالاً !

ثم تصيح لأختها :

- **آن** .. يا أختي ألم تري أحداً قادماً ؟

فردَّت عليها أختها :

- أجل ! إني أرى غباراً عظيماً مقبلاً من هذه الجهة ..

فسألتها :

- هل هما أخواي ؟

فردَّت عليها قائلة :

- لا يا أختي .. إنه قطيعٌ من الأغنام ..

وصاح **اللحية الزرقاء** في زوجته :

- ألا تريدين النُّزول إليّ ؟

فردت عليه :

- انتظر لحظة فقط !

ثم ضحكت وقالت لأختها :

- **آن** .. يا أختي **آن** .. ألم تري أحداً قادماً ؟

فأجابتها :

- إني أرى فارسين قادمين من هذه الجهة، ولكنهما لا يزالان بعْدُ بعيدين جداً ..

ثم صاحت **آن** بعد لحظة :

- الحمد لله، إنهما أخواي، وسأشير إليهما بقدر ما أستطيع ليعجِّلا ..

وشرَع **اللحية الزرقاء** يصيح بقوة اهتزَّ لها البيت كله، فنَزلت الزوجة المسكينة، وراحت ترتمي على قدمي زوجها دامعة العينين منفوشة الشعر، فقال لها :

- لن ينفعك هذا في شيء ويجب أن تموتي ..

ثم أخذها بيده من شعرها وهو يرفع في الهواء باليد الأخرى سكيناً ليحتزَّ بها رأسها. واستدارت المرأة المسكينة نحوه، ونظرت إليه بعينين ميتتين، وتوسَّلت إليه أن يمنحها بعض الوقت للتأمُّل. فقال لها :

- لا !..لا !.. سلِّمي أمرك لله ..

ثم رفع ذراعه ..

وفي هذه اللحظة طُرِق الباب بشدَّة حتى إن اللحية الزرقاء توقف فجأة .. فُتِح الباب فرأى فارسين يقتحمان المكان وهما

يلوحان بسيفيهما، وانقضا فوراً على **اللحية الزرقاء** الذي عرف أنهما أخوا زوجته، فهرب منهما في الحال ليخلِّص نفسه منهما، ولكن الأخوين أدركاه وأمسكا به حتى قبل أن يصل إلى الدَّرَج، وطعناه بسيفيهما، فخرّ صريعاً .

كانت الزوجة المسكينة ميتة أيضاً تقريباً كزوجها، ولم تكن تملك قوة للنهوض كي تعانق أخويها .

لم يكن **للحية الزرقاء** أي وريث، فبقيت زوجته صاحبة جميع أملاكه، فاستعملت قسماً منها لتزويج أختها **آن** من فتى نبيل كان يحبها من زمن طويل، واستعملت قسماً آخر في شراء وظيفة قائد لأخويها، واستعملت الباقي للزواج هي نفسها من رجل شريف قوي جعلها تنسى الزمن الرديء الذي أمضته مع **اللحية الزرقاء** .

* * *

٥

الجميلة في الغابة النائمة

La Belle au bois dormant

كان هنالك، في زمن من الأزمان، ملِكٌ وملِكةٌ متكدِّران جداً، لأنهما لم ينجبا أولاداً، لقد كانا في غاية التكدُّر إلى حد لا يُوصَف. فقد ذهبا إلى كل المياه في العالَم. وقدَّما النُّذُر، وحجًّا، ومارسا كلَّ ألوان العبادات، ولم يُجْدِ كلٌّ ذلك نفعاً.

ولكن الملكة أصبحت، أخيراً، حاملاً، ووضعت بنتاً، وأُقيم لها تعميدٌ رائع، وجُعِل للأميرة الصغيرة سبعُ عَرَّاباتٍ (إشبيناتٌ) ، هي كلُّ الجنيات التي أمكن العثور عليها في البلاد، لكي تقدِّم كل واحدة منهن للأميرة هديةً، كما كانت عليه عادة الجنيات في ذلك الزمان، فتجتمع للأميرة بذلك كلُّ المزايا التي يمكن تصوُّرُها .

وبعد طقوس التعميد حضر جميع الأصحاب إلى قصر الملك، حيث أقيمت مأدبةٌ عظيمة للجنيات، وقد وضعت أمام كل منهن أروع أدوات المائـــدة: ففي جَعْبَةٍ ذهبية ضخمة وُضِعَتْ مِلْعقـــة

وشوكة وسكين من الذهب الخالص المرصَّع بالماس والياقوت. وأخذت الأميرة مكانها على المائدة كواحدة من الحضور .

دخلت إلى المأدبة جنيةٌ عجوز لم تكن مدعوَّة، لأنها لم تخرج من أحد الأبراج منذ خمسين سنة، حتى إن الناس كانوا يعتقدون أنها ماتت أو سُحِرَتْ، فقدَّم لها الملِكُ أدواتِ المائدة، ولكن لم يكن بالإمكان إعطاؤها جَعْبَةً من الذهب الخالص، كما كان شأن الجنيات الأخريات، لأنه لم يُعَدَّ للمائدة سوى سبعٍ منها لسبع جنيات .

ظنَّت الجنية العجوز أنهم يحتقرونها بذلك، فدمْدَمَتْ بين أسنانها ببعض التهديدات، فسمعتها إحدى الجنيات الشابات اللواتي كنّ بجانبها، وتوقعت بأن الجنية ستقدِّم للأميرة الصغيرة هديةً تكدِّرها، فذهبت حين غادرت المائدة لتختبئ وراء الستّارة، كي تكلِّم الأميرة، وتصلح قدرَ الإمكان من أمر الشرّ الذي ستُقْدِم عليه الجنية العجوز .

وفي هذه الأثناء بدأت الجنيات بتقديم هداياهن إلى الأميرة : فقدَّمت لها الجنية الأكثر شباباً هدية هي أن تكون الأميرة أجمل فتاة في العالم. وأهدتها الثانية هدية هي أن تكون روح الأميرة مثل روح مَلاكٍ. وكانت هدية الثالثة لها أن تكون الأميرة في غاية اللطف في كل ما تصنع. وكانت هدية الرابعة أن ترقص

الأميرة رقصاً رائعاً. وكانت هدية الخامسة لها أن تغني بصوتٍ مثلِ صوتِ العندليب. وكانت هدية السادسة لها أن تلعب بأي نوع من الأدوات بإتقان. ولما جاء دور الجنية العجوز قالت وهي تهز رأسها من الغيظ لا من الشيخوخة : إن الأميرة ستثقُب يدها بمِغْزَلٍ وتموت من ذلك .

جعلت هذه الهدية المرعبة جميع الأصحاب يرتعشون، ولم يبق أحد منهم لم يبكِ، وخرجت - في هذه اللحظة – الجنية الشابة من وراء الستارة، وقالت بصوتٍ عالٍ :

- اطمئنَّ أيها الملك وأيتها الملكة، فإن ابنتكما لن تموت من ذلك، صحيح أنني لا أملك ما يكفي من قوةٍ لنَقْضِ ما قالته الجنية العجوز تماماً، لأن الأميرة ستُثْقَب يدُها بمغزل، ولكن بدلاً من أن تموت من ذلك فإنها ستستغرق فقط في نوم عميق مئةَ عامٍ سيأتي في آخرها ابنُ ملِكٍ ليوقظها منه فتستيقظ .

أذاع الملك في الحال منشوراً حظر فيه على الناس أن يغزلوا بالمغازل، أو يقتنوا المغازل في بيوتهم، تحت طائلة الحكم بالموت، سعياً منه إلى تجنُّب الشر الذي أعلنته الجنية العجوز .

ذهب الملك والملكة إلى أحد قصورهما للترويح عن نفسيهما، فراحت الأميرة الصغيرة، في أحد الأيام، تجري داخل القصر، وتصعد من غرفة إلى غرفة، ودخلت في أعلى البرج إلى غرفة

على السطح كانت فيها عجوز طيِّبة ووحيدة تغزل بمغزلها، ولم تكن هذه العجوز الطيبة قد سمعت أحداً يتحدَّث عن الحظر الذي أمر به الملك بشأن الغزل بالمغازل .

قالت الأميرة للعجوز :

- ماذا تصنعين هنا أيتها المرأة الطيِّبَة ؟

فردَّت عليها ولم تكن تعرفها :

- إنني أغزِل يا طفلتي الجميلة .

قالت الأميرة :

- ها ! ما أجمل هذا، كيف تفعلين ذلك ؟ أعطيني لأرى إن كنت أفعل ذلك جيداً مثلَك ..

ولم تلبث أن أخذت المغزل، وشعرت أنها قوية ونشيطة وطائشة قليلاً. وكان حكم الجنية العجوز يرتِّب لها ذلك، إذ ثقبت بالمغزل يدَها وسقطت مغشياً عليها .

صاحت العجوز الطيِّبة طالبةً النجدة، وهي في غاية الارتباك، فجاء الناس من كل صوب، ورشَّ بعضُهم الماء على وجه الأميرة، وفك بعضهم رباطها، وضربها بعضهم على يدها، وفرك بعضهم صدغيها بماء ملكة هنغاريا، غير أن شيئاً من كل ذلك لم يجعلها تصحو. وتذكَّر الملك آنئذٍ، وهو يصعد نحو

الضجيج، نبوءة الجنية العجوز، ورأى أن تلك النبوءة كان لا بد لها من أن تقع مثلما قالت الجنية.

أمر الملك بوضع الأميرة في أجمل جناح في القصر، على سرير ذي زخارف ذهبية وفضية. فكانت الأميرة أشبه بالملاك لشدة ما كانت عليه من جمال، لأن إغماءتها لم تنْزع عن وجهها ألوانه الحية : فكان خداها متوردين، وكانت شفتاها حمراوين، غير أن عينيها كانتا مغمضتين، وكان المرء يسمع صوت تنفُّسها الهادئ، مما يؤكِّد تأكيداً تاماً أنها غير ميتة. وقد أمر الملك من ثَمَّ بأن يتركوها نائمة إلى أن تحين ساعة إيقاظها .

وكانت الجنية الطيِّبة، التي كانت قد أنقذت حياتها بالحكم عليها بأن تنام مئة سنة، في مملكة (ماتكان) Mataquin، وهي على بعد اثني عشر ألف فرسخ من الأميرة، حين وقع الحادث لها، ولكنها أُخْبِرَتْ بها بعد حين، عن طريقِ قَزَمٍ كان له حذاء يجتاز به سبعة فراسخ في كل خطوة. فانطلقت هذه الجنية فوراً، وقد رآها الناس تصل خلال ساعة في عربة من نارٍ تجرها بعض التِّنِّينات. وقد حضر الملك لاستقبالها عند نزولها من العربة.

استحسنت الجنية ما جرى، ولما كانت شديدة الاحتياط فقد فكَّرت في أن الأميرة ستجد نفسها، حين تستيقظ، وحيدة في هذا

القصر العتيق، فتتضايق. ولذا مَسَّتْ بخاتمها السحري كل ما كان ومَنْ كان في هذا القصر، باستثناء الملك والملكة، أي أنها مسَّت المربيات، ووصيفات الشرف، والوصيفات، والنبلاء، والضباط، ورئيس الخدم، والطباخين، وصبية المطبخ، والمراسلين، والحراس، والبوابين، والوصفاء، والفراشين. كما مسَّت بخاتمها أيضاً كلَّ الخيول التي كانت في الإسطبلات مع سائسيها، وكلاب الحراسة الضخمة في حظيرة الحيوانات. كما مسَّت (بوف) Pouffe، وهي كلبة صغيرة كانت للأميرة، وترقد قربها على السرير .

وبمجرد أن مسَّت كل هؤلاء الناس وهذه الحيوانات، نام الجميع، على أن يستيقظوا في الوقت نفسه الذي تستيقظ فيه الأميرة، حتى يكونوا جميعاً في خدمتها حين تحتاج إليهم، حتى الأسياخ التي كانت على النار - وقد شُكَّت جميعاً بطيور الحجل والدراج - نامت أيضاً، وكذلك النار .

وقد تم كل هذا التحول في لحظة واحدة، لأن عمل الجنيات لا يستغرق وقتاً طويلاً. ولما تم ذلك خرج الملك والملكة من القصر بعد أن قبَّلا طفلتهما الغالية وهي مستغرقة في نومها، وأذاع الملك جملة من المحظورات لمنع الاقتراب من الأميرة والقصر. ولم تكن هذه المحظورات ضرورية، لأن عدداً كبيراً

من الأشـــجار الضخمـــة والصغيرة، ذات الأشـــواك الواخزة المتشابكة فيما بينها، نما خلال ربع ساعة حول حديقة القصر كلها، حتى إن أي حيوانٍ، فضلاً عن الإنسان، يعجز عن المرور خلالها، ولم يكن المرء يرى من وراء هذه الأشجار سوى أعالي أبراج قصر الأميرة ومن بعيد جداً. ولم يكن أحد يشكّ في أن الجنية لم تستوفِ بعدُ كلَّ عملها، لكي تحفظ الأميرةَ طوال فترة نومها من عبث الفضوليين .

وفي نهاية المئة سنة، انطلق ابنٌ لملِكٍ كان يحكم آنذاك، وكان من أسرة أخرى غيرِ أسرة الأميرة النائمة، في رحلة قنص في ناحية الغابة، وكان يتساءل، وهو يرى تلك الأبراج التي تبدو في أعلى الغابة الكبيرة والكثيفة : ما تكون ؟ وكان كل واحد ممن معه يجيبه حسبما كان قد سمع عنها من الناس : فكان بعضهم يقول إن هذا القصر عتيق تسكن فيه الأرواح، وبعضهم يقول إن السَّحَرَة في المنطقة كانوا يعقدون فيه اجتماعهم يوم السبت، وكان الرأي الأكثر شيوعاً يقول إن غولاً كان يقيم فيه، وكان يأخذ كل الأطفال الذين يمسك بهم إلى هناك ليأكلهم براحته. اجتاز الأمير أشجار هذه الغابة، لأنه هو الوحيد الذي يملك القدرة على المرور فيها، ولم يكد الأمير يصدِّق ذلك حتى أخذ فلاحٌ عجوز يكلِّمه قائلاً :

- أيها الأمير، لقد سمعتُ أبي يقول، منذ أكثر من خمسين سنة، إن في هذا القصر أميرةً، هي أجملُ أميرة في العالم، فُرِض عليها أن تنام فيه مئة سنة، ولسوف تستيقظ على يد ابن ملِك، وهي منذورة له .

فلما سمع الأمير هذا الكلام، سَرَتْ النارُ في جسده كلِّه، واعتقد بلا تردُّد أنه هو الذي سيضع نهاية لمغامرة جميلة جداً، وقرَّر بدافع الحب وطلب المجد أن يرى على صعيد الواقع ما سيكون منه. وما إنْ تقدَّم نحو الغابة حتى أخذت جميع هذه الأشجار الضخمة الشائكة والمتشابكة تتباعد من تلقاء ذاتها لتفسح له المجال ليمرّ، فمشى الأمير نحو القصر الذي رآه في آخر الطريق العريض الذي دخل فيه. والذي فاجأه بعض الشيء أن أحداً من رجاله لم يتمكَّن من اتِّباعه، لأن الأشجار عادت فتشابكت بعد مرور الأمير كما كانت.

وهكذا تابع طريقه، لأنه أمير شاب وعاشق شجاع، فدخل إلى فناء أمامي واسع كان كلُّ ما رآه فيه كفيلاً بأن يجمِّده من شدة الخوف : فقد كان الصمت الهائل يسود فيه، وظهرت صورة الموت في كل مكان منه. وعرف من خلال وجوه البوابين النَّضِرَة أنهم لم يكونوا سوى نيام. كما أن كؤوسهم، التي لا تزال محتوية على بعض قطرات الخمر، تثبِتُ أيضاً أنهم كانوا قد ناموا وهم يشربون .

وقد اجتاز الأمير الفناء الواسع المبلَّط بالمرمر، وصعد الدرج، ودخل إلى قاعة الحراس الذين كانوا مصطفِّين بشكل حاجز، وسلاحهم على أكتافهم، وهم يغطون في نوم عميق.

ثم اجتاز الأمير عدداً كبيراً من الغرف الغاصَّة بالنبلاء والسيدات، وكلهم نائمون : فقد كان بعضهم واقفاً، وبعضهم جالساً.

ثم دخل إلى غرفة مذهَّبة بأكملها، ورأى على سريرٍ كانت ستائره مفتوحة من كل الجوانب أجملَ منظر رآه في حياته، لقد رأى أميرة تبدو في الخامسة عشرة أو السادسة عشرة من العمر، وكانت لنضرتها المتألِّقة مِسْحَةٌ وضَّاءة وربانية. فاقترب مرتعشاً ومعجَباً، وجثم على ركبتيه قربها .

وهكذا حَلَّت ساعةُ نهاية السِّحْر، واستيقظت الأميرة، ونظرت إلى الأمير بعينين حنونتين، حتى كأن نظرتها الأولى كانت تعاتبه. ثم قالت له :

- أهذا أنت هو يا أميري ؟ لقد أحسنتُ صنعاً بانتظارك ..

وأما الأمير الذي فتنته هذه الكلماتُ، وربما فتنته أكثر الطريقةُ التي قيلت بها، فلم يعرف كيف يعبِّر لها عن فرحته وامتنانه، وقد أكَّد لها أنه يحبها أكثر من نفسه. وكانت كلماته رديئة الترتيب، ثم إنه بكى : وفي هذا قليلٌ من البلاغة وكثيرٌ

من الحبّ. ولقد كان متضايقاً أكثر منها، ولا ينبغي للمرء أن يُدْهَش لذلك، فقد كانت الأميرة تملك الوقت الكافي للتفكير فيما ستقول له، والظاهر أن الجنية الطيِّبة – وهذا ما لم تقل القصة شيئاً عنه – كانت تزوِّد الأميرة، خلال نومها الطويل جداً، بالأحلام الجميلة. وأخيراً انقضت أربع ساعات وهما يتحادثان معاً، ولم يكونا قد قالا بعدُ نصف الأشياء التي يريدان قولها .

وفي أثناء ذلك استيقظ القصر كله مع الأميرة، وكان كلٌّ منهم يفكِّر في القيام بعمله الخاص به، وبما أنهم لم يكونوا جميعاً عاشقين، فقد كانوا يشعرون بأنهم ميِّتون من الجوع. وقد صاحت وصيفةُ الشرف، المستعجلةُ كالآخرين، وقد نَفِد صبرُها، بأعلى صوتها، للأميرة :

- اللحمُ جاهز يا مولاتي !

فساعد الأميرُ الأميرةَ على النهوض من السرير، وكانت تلبَس ثيابها كاملة وبأروع ما يكون، ولكن الأمير خشي من أن يقول لها إنها تلبَس ثياباً من طراز ما كانت جدته تلبَس، وإنها ترتدي ياقة عالية، على أنها لم تكن بهذا اللباس أقلَّ جمالاً .

دخل الأمير والأميرة إلى قاعة للمرايا، وتعشَّيا فيها، وكان خدم الأميرة يقومون بالخدمة. وعزف عازفو الكمان مقطوعات قديمة، ولكنها كانت رائعة، لأنها لم تُعْزَف منذ مئة سنة تقريباً .

وبعد تناول الطعام، ومن غير إضاعةٍ للوقت، قام الكاهن الأكبر بتزويجهما في كنيسة القصر، وقامت وصيفة الشرف بإسدال الستائر عليهما، فناما قليلاً، ولم يكن لدى الأميرة حاجة كبيرة إلى النوم .

وَدَّع الأميرُ الأميرةَ منذ الصباح للعودة إلى المدينة، حيث كان والده قلقاً عليه. وقد ذكر لأبيه أنه ضلّ في الغابة بينما كان يتصيَّد، فبات في كوخ فحَّامٍ أطعمه خبزاً أسود وجُبْنة. فصدَّقه أبوه الملك، لأنه كان رجلاً طيِّباً، غير أن أمه لم تقتنع بذلك، لأنها كانت تراه يذهب إلى الصيد في كل يوم تقريباً، وكانت لديه دائماً أعذارٌ حين يبيتُ ليلتين أو ثلاثاً خارج القصر، وكانت تظن أن له عشيقة ما .

عاش الأمير مع الأميرة أكثر من عامين كاملين أنجبا فيهما طفلين : كان الأول بنتاً سمياها (أورور) Aurore [يعني: فَجْراً]، وكان الثاني ولداً سمياه (جور) Jour [يعني: نهاراً]، لأنه كان يبدو أجمل من أخته .

قالت الملكة لابنها مراراً، حتى تحمله على أن يشرح لها أمره، إنه ينبغي له أن يكون قنوعاً في الحياة. غير أنه لم يكن يجرؤ على أن يبوح لها بسره، فقد كان يخاف منها على الرغم من حبه لها، لأن أصلها كان من الغيلان، وما كان أبوه ليتزوَّج

منها لولا أملاكُها الواسعة، وكان مَنْ في القصر يقول - بصوت خفيض – إن لديها ميولَ الغيلان، ولذلك كانت، حين ترى أطفالاً صغاراً يمرون بها، تبذل كل جهد في العالم لتتمالك نفسها دون الانقضاض عليهم. ولهذا لم يكن الأمير راغباً في أن يبوح لها بشيء .

وحين توفي الملك بعد سنتين، وأصبح الأمير هو الملك، أعلن للملأ خبر زواجه، وذهب في موكب عظيم إلى زوجته، التي أصبحت ملكة، في قصرها. ثم احتفل الملك والناس بدخولها إلى المدينة احتفالاً رائعاً، وكانت بين طفليها.

ذهب الملك، بعد مدة، لشن حرب على جاره الإمبراطور (كانتالابوت) Cantalabutte، وترك الوصاية على المملكة للملكة الوالدة، وأوصاها بزوجته وطفليه وصية حارَّة، لأنه مضطر إلى أن يبقى في الحرب طوال فصل الصيف .

أرسلت الملكة الوالدة، منذ رحيل ابنها، كَنَّتها وطفليها إلى منْزل في الريف بين الغابات، حتى تتمكَّن من أن تُشْبِع رغبتها المروِّعة بسهولة ويُسْر، ثم لحقت بهم بعد بضعة أيام، وقالت ذات مساء لرئيس خدمها :

- أريد أن أتعشَّى غداً الصغيرة (أورور) ..

فقال لها :

- ماذا تتعشَّين يا مولاتي ؟

فقالت الملكة بنغمة غولة ترغب في تناول لحم طازَج :

- أريد أن أتعشى الصغيرة .. وأن آكلها بصلصـــة روبير la sauce-robert .

أخذ هذا الرجل المسكين، الذي يرى أن لا يعبث مع غولة، سكينه الكبيرة، وصعِد إلى غرفة الصغيرة (أورور)، وكان عمرها، آنذاك، أربع سنوات، فأقبلت نحوه تقفز وتضحك وارتمت على عنقه، وطلبت إليه أن يعطيها شيئاً من السكاكر، فشرع يبكي، وسقطت من يده السكين، ثم إنه ذهب إلى الحظيرة، فذبح سَخْلَة صغيرة، وصنع منه صلصة طيِّبة جداً، حتى إن سيِّدته أكَّدت له بأنها لم تأكل قط صلصة أطيب منها.

وكان هذا الرجل قد حمل، في الوقت نفسه، الصغيرة (أورور)، وسلَّمها لزوجته لتخبِّئها في المنْزل الذي تسكن فيه تحت الحظيرة .

وبعد ثمانية أيام، قالت الملكة الوالدة الشقيَّة لرئيس خدمها :

- أريد أن أتعشى اليوم الصغير (جور) ..

فلم يجبها بشيء، لأنه قرَّر أن يخدعها كالمرة السابقة، وذهب يبحث عن الصغير (جور) ، فوجده يحمل بيده سيفاً صغيراً يلعب به مع قرد كبير، ولم يكن عمره، آنذاك، سوى ثلاث

سنوات، فحمله إلى زوجته التي خبَّأته مع الصغيرة (أورور)، وأعطته بدلاً منه حَمَلاً طريَّ اللحم، وقد وجدته الملكة الغولة لذيذاً جداً .

هذا ما حصل بالفعل حتى ذلك الوقت. غير أن الملكة الوالدة الشقية قالت لرئيس الخدم ذات مساء :

- أريد أن آكل الملكة بذات الصلصة التي صنعتها مع طفليها..

شعر رئيس الخدم المسكين، حينئذ، باليأس من أن يتمكَّن هذه المرة من خداع الملكة الوالدة، لأن كنتها الملكة الشابة في العشرين من العمر، إن لم يحسُب المرء المئة سنة السابقة التي نامتها، ولذلك كان جلدها قاسياً قليلاً مع أنه جميل وأبيض، ثم تساءل عن الوسيلة التي يعثر بها، بين جملة الحيوانات في الحظيرة، على حيوان قاسي الجلد مثلها. ثم قرَّر، إنقاذاً لحياته، أن يذبح الملكة الشابة. فصعد إلى غرفتها، وهو مهتاج من الغضب، ودخل إليها وبيده السكين، وذكر لها بكثير من الاحترام الأمر الذي تلقَّاه من الملكة الوالدة، فقالت له وهي تمد إليه بعنقها:

- قُمْ بواجبك، ونفِّذ الأمر الذي أصدرتْه إليك، لأنني سأذهب بذلك لرؤية طفلَيَّ .. طفلَيَّ المسكينين اللذين أحببتُهما كثيراً ..

قالت ذلك لأنها كانت تعتقد أنهما ميتان منذ اختُطِفا من غير أن يقال لها شيء عنهما. فقال لها رئيس الخدم المسكين وهو شديد التأثر :

- لا .. لا يا مولاتي ! لن تموتي، ويمكنك أيضاً أن تري طفليكِ الغاليين في منْزلي حيث خبَّأْتُهما .. وسأخدع الملكة أيضاً بجعلها تأكل أَيِّلَةً فتيةً بدلاً منك ..

ثم أوصلها إلى منْزله، حيث تركها وهي تعانق طفليها وتبكي معهما، وذهب ليحضِّر أَيِّلَة، وقد تناولتها الملكة الوالدة على عشائها بذات الشهية، لأنها كانت تظن أنها تتناول الملكة الشابة. وكانت راضية عن قسوتها هذه، وكانت تهيِّئ نفسها لتزعم لابنها الملك، عند عودته، إن الذئاب المسعورة قد أكلت زوجته الملكة وطفليها .

وذات مساء، كانت الملكة الوالدة تطوف كالعادة في أفنية الحظائر، لتتنشَّق فيها رائحة بعض اللحم الطازج، فسمعت الصغير (جور) ، في قاعة سفلية، وهو يبكي، لأن أمه الملكة كانت تهم بضربه لشقاوته، كما أنها سمعت أيضاً الصغيرة (أورور) وهي تطلب من أمها الصَّفْح عنه .

عرفت الملكة الغولة صوت الملكة الشابة وطفليها، فأمرت الخدم في صباح اليوم التالي، وهي ثائرة جداً من تعرُّضها

للخديعة، صائحةً بصوتٍ مَهُولٍ هزَّ العالم كله، بأن يحضروا إلى فناء المنْزل حوضاً كبيراً يُمْلأ بالضفادع والأفاعي والثعابين والحيَّات، لتُلْقَى فيه الملكة الشابة وطفلاها، ورئيس الخدم وزوجته وخادمتها، وكانت قد أمرت بأن تُرْبَط أيديهم خلف ظهورهم .

وقف الجميع هنالك، وكان الجلادون يستعدون لإلقائهم في الحوض، وفي أثناء ذلك دخل الملك الشاب، الذي لم يكن أحد ينتظر عودته مبكِّراً، إلى فناء المنْزل على حصانه، وأقبل مسرعاً، وقد سأل، وهو مندهش، ما الذي يعنيه هذا المنظر الْمُريع .. فلم يجرؤ أحدٌ على إخباره بشيء .. وفي هذه الأثناء ألقت الملكة الغولة بنفسها في الحوض، وهي هائجة مما كانت ترى، فالتهمت الحيوانات الكريهة في لحظة واحدة رأسها أولاً .. ولم يستطع الملك الشاب أن يتمالك نفسه من الحزن على أمه الملكة، غير أنه عزَّى نفسه، بعد وقت قليل، بزوجته الجميلة وطفليه الرائعين .

* * *

٦

السيِّد القِطّ (أو القِطّ ذو الجزمة)

Le Maître Chat ou Le Chat botté

لم يترك طحَّانٌ من أملاكٍ لأولاده الثلاثة سوى طاحونةٍ وحمارٍ وقطٍّ. وبعد وقت قليل تم توزيع الحصص بينهم، ولم يُدْعَ إلى هذا التوزيع لا كاتبُ العَدْل، ولا وكيلُ النيابة. توزَّع الأولاد هذا الميراث البسيط : فأخذ أكبرهم الطاحونة، وأخذ الأوسطُ الحمار، ولم يبق للولد الأصغر سوى القطّ. ولكن الولد الأصغر لم ينبسط لامتلاك هذه الحصة البخسة جداً، وقال :

- إن أخوَيَّ يستطيعان كسب عيشهما بشرفٍ إن عملا معاً، أما أنا فحين آكل قِطِّي، وأصنع من جلده قُفَّازين، فسأموت من الجوع بعدئذٍ ..

قال له القطُّ بوقارٍ وجِدٍّ، وقد كان يسمع هذا الكلام ويتظاهر بعدم المبالاة :

- لا تحزن يا سيِّدي ! فليس عليك إلا أن تعطيني كيساً وتصنع لي جزمة، وأذهب إلى الأدغال .. وسترى أن حصَّتك لم تكن سيِّئة جداً كما تعتقد الآن ..

لم يصدِّق صاحب القط ذلك، غير أنه لما رآه يقوم ببعض المهارات المرنة لاصطياد الجرذان والفئران .. من مثل تدلية رجليه أو اختبائه في الطحين مظهراً أنه ميِّتٌ .. لم يقنط من قدرته على مساعدته في بؤسه .

لما حصل القط على ما كان قد طلبه، احتذى الجزمة، ووضع الكيس في عنقه وشد حبله برجليه الأماميتين، ثم إنه انطلق إلى جهة فيها عددٌ كبير من الأرانب. وكان قد وضع في الكيس نُخَالةً وقِطَعَ جَزَرٍ، ثم تمدَّد هنالك وكأنه ميِّت، وانتظر أن تأتي إليه بعض الأرانب الفتيَّة، لأنها قليلة الخبرة بحِيَل هذا العالم، لتُدْخِل رأسها في الكيس وتأكل مما فيه. وبينما كان راقداً يرتاح، دخل أرنبٌ فتِيٌّ طائش في الكيس، فسحب السيِّد القط الحبل فوراً، وأمسك به وقتله بلا رحمة .

انطلق القط إلى الملِك، وهو فخورٌ بصيده، وطلب أن يكلِّمه، فأُدخِل إلى جناح جلالته، فانحنى له انحناءة احترام كبيرة وهو داخل إليه، ثم قال :

- إليك يا مولاي أرنباً من أرض الأرانب كلَّفني (مركيز كارباس) Marquis de Carabas (وكان هذا هو الاسم الذي اختاره وارتاح لاطلاقه على صاحبه) بتقديمه إليك من طَرَفِه ..

قال الملك :

- أبلغ سيِّدك أنني أشكره على هديته وأنه قد أدخل السرور إلى نفسي ..

ذهب القط مرةً أخرى واختبأ في حقل قمح، تاركاً كيسه مفتوحاً أيضاً، فدخلت فيه حَجَلتان، فشد الحبل وأخذهما إلى الملك، وفعل كما فعل بالأرنب. وقد تقبَّل الملك هذه الهدية أيضاً بسرور، وقدم للقط شراباً .

وهكذا واصل القط خلال شهرين أو ثلاثة تقديمه شيئاً مما يصطاد بكيسه بين حين وآخر إلى الملك .

علم القط، ذات يوم، أن الملك سيقوم بنزهة على ضفاف النهر مع ابنته التي كانت أجمل أميرة في العالم، فقال لصاحبه :

- إن قبِلتَ نصيحتي، فقد حانت ساعة حظك، وليس عليك إلا أن تسبح في النهر حيث أشير عليك، ودعِ الباقي عليَّ ..

فعل (ماركيز كاراباس) ما أشار به القط عليه، من غير أن يعرف بأي شيء سيفيده ذلك. وبينما كان يسبح في النهر إذا بالملك يمر، فراح القط يصرخ بأعلى صوته :

- النجدة ! النجدة ! إن السيِّد (مركيز كاراباس) يغرق ..

سمع الملك هذا الصراخ، فعرف القطَّ الذي كان يحمل إليه صيداً مراراً، فأمر حرَّاسَه بأن ينطلقوا بسرعة لنجدة السيِّد

(مركيز كاراباس). وبينما كانوا يسحبون المركيز المسكين من النهر، اقترب القط من عربة الملك، وقال إن بعض اللصوص قد جاؤوا في الوقت الذي كان سيِّده يسبح فيه فسرقوا ثيابه، وإنه صرخ عليهم بكل قوة، فخبَّؤوها تحت صخرة ضخمة .

أمر الملك في الحال خُدَّام خزائن ثيابه بالذهاب لإحضار واحدة من أجمل حُلَله للسيِّد (مركيز كاراباس). ثم إن الملك لاطف المركيز وطيَّب خاطره، وقد أظهرته ملابس الملِك الجميلة بهيئة رائعة (لأنه كان جميلاً ويعتني بنفسه) ، وقد وجدته بنت الملك قوياً على هواها، وما إن ألقى (مركيز كاراباس) على الأميرة نظرتَي احترامٍ أو ثلاثاً، وبشيء من الرِّقَّة، حتى وقعت في حبِّه بجنون .

طلب الملك إلى (مركيز كاراباس) أن يركب معه في العربة وأن يتَنَزَّه معه. وكان القط، المعجب بأن يرى مخطَّطه بدأ ينجح، قد سبق عربة الملِك، والتقى فلاحين كانوا يحصدون في سهل، فقال لهم :

- أيها الفلاحون الطيِّبون ! إنْ لم تقولوا للملِك إنَّ هذا السهل الذي تحصدون فيه يعود للسيِّد (مركيز كاراباس) فلسوف تُفْرَمُون جميعاً قطعاً صغيرة كلحمة الفطائر ..

لم يفُتِ الملكَ أن يسأل الحصَّادين لمن يعود هذا السهل الذي يحصدون فيه، فقالوا جميعاً، نظراً لأن تهديد القط قد أدخل الخوف في نفوسهم :

- إنه للسيِّد (مركيز كارلباس) ..

فقال الملِك له :

- إنك تملِك ميراثاً رائعاً ..

فردّ عليه المركيز قائلاً :

- أنت ترى، يا مولاي، أنه سهل وافر المحصول في كل السنين ..

لقي السيِّد القط، الذي كان يسبق العربة دوماً، حصادين آخرين فقال لهم :

- أيها الفلاحون الطيِّبون ! إنْ لم تقولوا إنَّ هذا القمح كله الذي تحصدون يعود للسيِّد (مركيز كاراباس) ، فلسوف تُفْرَمون جميعاً قطعاً صغيرة كلحمة الفطائر ..

أراد الملِك، الذي مرَّ بهؤلاء الفلاحين بعد وقت قليل، أن يعرف لمن يعود كل هذا القمح الذي كان يراه، فأجابه الحصَّادون بقولهم :

- إنه يعود للسيِّد (مركيز كاراباس) ..

فانشرح صدرُ الملِك أكثر أيضاً للمركيز .

كان القط، الذي يسبق العربة دوماً، يقول الشيء نفسه لكل من يلقاه، وكان الملِك يندهش من الأملاك الواسعة للسيِّد (مركيز كاراباس) .

وصل السيد القط، أخيراً، إلى قصرٍ جميلٍ كان صاحبه غولاً من أغنى ما رأت العين، لأن كل الأراضي، التي كان الملك قد مرَّ بها، تابعة لهذا القصر. وقد طلب القط، وكان مهتماً بالسؤال عمّن يكون هذا الغول وما مدى قدرته، أن يتكلَّم معه ليقول له إنه لم يكن يرغب في المرور قريباً من هذا القصر من غير أن ينال شرف الانحناء أمام صاحبه احتراماً له. فاستقبله الغول لذلك بكل تهذيب يستطيعه غولٌ مثلُه وأراحه، فقال له القط :

- لقد أكدوا لي أنك تملك قدرة التحوُّل إلى كل نوع من أنواع الحيوان، وأنك تستطيع – مثلاً – أن تتحوَّل إلى أسدٍ أو فيلٍ ..

أجاب الغول فجأة :

- هذا صحيح ! ولأبرهِن لك على ذلك سوف تراني أتحوَّل أسداً ..

ارتعش القط ارتعاشاً شديداً حين رأى أمامه أسداً، وقفز على الفور إلى المزاريب، بشيء من المشقة والمخاطرة، لأن جزمته لم تكن صالحة للسير على القرميد. وبعد قليل، عاد الغول إلى شكله الأول، فنَزل القط، وأقرَّ بأنه كان شديد الخوف منه، ثم قال له :

- لقد أكَّدوا لي أيضاً أنك تملك القدرة على أن تتحوَّل إلى شكلِ أصغر الحيوانات، كأن تتحوَّل – مثلاً – إلى جُرَذٍ أو فأرةٍ، ولكنني لم أصدِّق ذلك، وأعترف لك بأن هذا الأمر مستحيل تماماً ..

فرد الغول قائلاً :

- إنه ليس مستحيلاً .. وسترى ..

ثم تحوَّل الغولُ فوراً إلى فأرةٍ أخذت تجري على أرض الغرفة، ولكن القط لم يكد يراها حتى ارتمى عليها والتهمها .

وفي هذه الأثناء، أراد الملِك، الذي رأى هذا القصر، وهو يمرُّ به، أن يدخل إليه، فجرى القط، الذي سمع ضجَّة العربة، وهي تجتاز الجسر، إلى أمام القصر، واستقبل الملك بقوله :

- أهلاً وسهلاً بجلالتكم في قصر السيِّد (مركيز كارباس) ..

صاح الملك قائلاً :

- ولك أيضاً هذا القصر الرائع أيها السيد المركيز ؟!.. إنني لم أجد ما هو أجمل من هذا الفِناء وهذه الأبنية المحيطة به .. لِنَرَهُ من الداخل إن سمحتَ ..

قدَّم المركيز يده إلى الأميرة الشابة للنُّزول من العربة، ثم تبِعا الملك الذي صعِد إلى القصر أولاً، ودخلوا إلى قاعة واسعة جداً فيها مأدبة فاخرة كان الغولُ قد أعدَّها لأصدقائه الذين كان عليهم أن يأتوا إليه في اليوم نفسه، غير أنهم لم يجرؤوا على الدخول لأنهم علموا أن الملك في القصر.

قال الملك المَفْتُونُ بالمزايا الرائعة التي تتوافر في السيد (مركيز كارباس) ، كما فُتِنَتْ بها أيضاً ابنته الأميرة من قبل بجنون، وهو يرى هذه الثروة الطائلة التي كان يملكها، وبعد أن شرب خمسة أكواب أو ستة :

- أيها السيِّد المركيز، إن الأمر يتوقَّف عليك وحدَك في أن تكون صهراً لي ..

قبِل المركيز الشرف الذي منحه إياه الملك، وحياه بانحناءة كبيرة أمامه. وتزوَّج من الأميرة في اليوم نفسه، وصار القطُّ سيِّداً كبيراً، ولم يعد يجري بعدئذٍ وراء الفئران إلا للتسلية .

* * *

٧

القبعة الصغيرة الحمراء

Le Petit Chapeon rouge

كان في زمنٍ من الأزمان وقريةٍ من القُرَى بنتٌ صغيرة، كانت من أجمل ما ترى العين، وكانت أمها مولَعةً بها، وكانت جدتها أشد منها ولعاً بها أيضاً. وقد صنعت لها هذه المرأة الطيِّبة قبعة حمراء كانت تناسبها تماماً، حتى إن الناس صاروا يلقبونها (القبعة الحمراء) .

وفي ذات يوم أعدَّت الأمُّ طعاماً وصنعت فطائر وقالت لابنتها :

- اذهبي إلى جدتك لتري كيف حالها، فقد قيل لي إنها مريضة، واحملي لها معك فطيرة ووعاءَ الزبدة الصغير هذا .

أخذت (القبعةُ الحمراء) ذلك فوراً وانطلقت ذاهبة إلى جدتها التي كانت تسكن في قرية أخرى . وحين مرَّتْ في الغابـــة لقيها

ذئبٌ كان يرغب في أن يأكلها، غير أنه لم يجرؤ على أكلها لوجود بعض الحطابين في تلك الغابة. فسألها إلى أين هي ذاهبة، فردت عليه الطفلة المسكينة التي لم تكن تعلم أن وقوفها مع ذئب لتستمع إليه خطرٌ عليها :

- أنا ذاهبة لرؤية جدتي، وأحمل لها فطيرة مع وعاءِ زبدةٍ صغيرٍ أرسلته إليها أمي ..

فقال لها الذئب :

- وهل تسكن جدتك بعيداً ؟

فردت عليه (القبعة الحمراء) قائلة :

- أوه ! نعم، إنها في الناحية الأخرى من الطاحونة التي تراها هناك في البيت الأول من القرية ..

فقال الذئب :

- حسناً .. وأنا أرغب في الذهاب إليها لرؤيتها، وسأذهب من هذا الطريق ها هنا، واذهبي أنت من ذلك الطريق هنالك، ولْنَرَ مَنْ منّا سيصل قبل الآخر إليها ..

جعل الذئب يجري بكل قوته في الطريق الأقصر، وذهبت البنتُ الصغيرة في الطريق الأطول، وكانت تتسلَّى في طريقها بجني بعض حبات البندق، والجري وراء الفراشات، وصنع باقات من الأزهار الصغيرة التي تصادفها .

لم يلبث الذئب أن وصل إلى بيت الجدة، وطرق بابها :

- تُكْ ! تُكْ !

قالت الجدة :

- من هناك ؟

قال الذئب مقلِّداً صوت الحفيدة :

- إنني حفيدتك (القبعة الحمراء) ، أحمل إليك فطيرة ووعاءَ زبدةٍ صغيراً أرسلته إليك أمي ..

قالت الجدة الطيِّبة التي كانت في سريرها وقد وجدت نفسها متعبة قليلاً :

- اسحبي الرِّتاجَ وسوف يُفْتَح البابُ ..

سحب الذئب الرِّتاج ففُتِح الباب، فانقضَّ على المرأة الطيِّبة والتهمها في أقلَّ من لحظةٍ، لأنه لم يكن قد أكل شيئاً منذ أكثرَ من ثلاثة أيام. ثم إنه أغلق الباب، ورقد في سرير الجدة، بانتظار (القبعة الحمراء) التي وصلت بعد مدة، وطرقت الباب :

- تُكْ ! تُكْ !

صاح الذئب :

- مَنْ هناك ؟

خافت (القبعة الحمراء) في بداية الأمر، لأنها سمعت صوت الذئب الضخم، ولكنها ظنَّتْ أن جدتها كانت مزكومة، فردت بقولها :

- أنا حفيدتك (القبعة الحمراء) .. أحمل إليك فطيرة ووعاءَ زبدةٍ صغيراً أرسلته إليكِ أمي ..

فصاح الذئب مرقِّقاً صوته :

- اسحبي الرِّتاجَ وسوف يُفْتَح الباب ..

سحبت (القبعة الحمراء) الرتاج، ففتح الباب .. ولما رآها الذئب داخلة، قال لها وهو مختبئ تحت غطاء السرير :

- ضعي الفطيرة ووعاء الزبدة الصغير على الصندوق، وتعالي ارقدي معي ..

خلعت (القبعة الحمراء) ثيابها، وذهبت لترقد في السرير، ولكنها اندهشت حين رأت جدتها وهي عارية، فقالت لها :

- ما أكبرَ ذراعيكِ يا جدتي !

فقال الذئب :

- إنهما كذلك حتى أعانقك بهما جيداً يا صغيرتي ..

فقالت لها :

- ما أكبر رجليكِ يا جدتي !

فقال الذئب :

- إنهما كذلك حتى أركض بهما جيداً يا طفلتي ..

ثم قالت لها :

- ما أكبر أذنيك يا جدتي !

فقال :

- إنهما كذلك حتى أسمع بهما جيداً يا طفلتي ..

قالت :

- ما أكبر عينيك يا جدتي !

فقال الذئب :

- إنهما كذلك حتى أرى بهما جيداً يا طفلتي ..

ثم قالت :

- ما أكبر أسنانَك يا جدتي !

فقال الذئب :

- إنهما كذلك حتى آكلك بها جيداً أيتها الصغيرة ..

وما إنْ نطق الذئب الشقيُّ هذه الكلمات حتى انقضَّ على (القبعة الحمراء) وأكلها .

* * *

٨

الإبهام الصغير

Le petit Poucet

كان في زمنٍ من الأزمان حطَّابٌ وحطَّابةٌ لهما سبعة أولاد ذكور، ولم يكن عمر أكبرهم إلا عشر سنين، وكان عمر أصغرهم سبع سنين. وكان الناس مندهشين لأن الحطاب يملك كثيراً من الأولاد في زمن قصير، وإنما كان ذلك لأن امرأته كانت تلد له توأمين في كل مرة.

وكان الزوجان فقيرين جداً، وكانا يضيقان بمعيشة الأولاد السبعة كثيراً، لأن أحداً منهم لم يكن قادراً على كسب عيشه بعدُ. وهذا ما كان يحزنهما، فقد كان أصغرهم هزيلاً جداً، ولم يكن ينطق بكلمة واحدة، لأنه كان يتباله، وهذه دلالة على طيب نفسه. لقد كان صغير الجسم جداً حين جاء إلى هذه الدنيا، مما جعل الناس يلقبونه (الإبهام الصغير). وكان هذا الطفل سبب ألمٍ ومعاناة في البيت، فقد كان الجميع يخطِّئونه دوماً، ومع ذلك فقد كان أرقَّ إخوته وأفطنهم، وكان يتكلَّم قليلاً ويسمع كثيراً .

أصيب الناس بسنةٍ شديدة، وانتشرت المجاعة انتشاراً واسعاً، حتى إن الزوجين المسكينين عزما على التخلُّص من أولادهما .

وذات مساء كان الأولاد نائمين، وكان الحطاب مع زوجته قرب النار يتدفآن، فقال لها وقلبُه يعتصِر ألماً :

- إنك ترين جيداً أننا لا نستطيع أن نُطْعِم أولادنا، وأنا لا أستطيع أن أراهم وهم يموتون جوعاً أمام عينيَّ، وقد عزمتُ على الذهاب غداً إلى الغابة لأُضلِّهم فيها وأعود، فهذا أهون عليَّ بكثير .. عندما ينشغلون بحزم الحطب نهربُ نحن من غير أن يلاحظونا ..

فصاحت الزوجة قائلة :

- واحسرتاه ! وهل تقدِر على أن تقوم بإضاعة أولادك ؟!..

أخذ الزوج يستعرِض لها الفقرَ المدقع الذي هم فيه استعراضاً مؤثِّراً، ولكنها لم تستطع تقبُّل الأمر، إنها فقيرة حقاً .. غير أنها أمٌّ لهم. غير أنها مع ذلك، حين رأت ذلك الألم الذي ستسببه لها رؤيتهم وهم يموتون من الجوع، قبلت به، وذهبت للنوم وهي تبكي .

سمع (الإبهام الصغير) كل ما قاله أبوه وأمه، لأنه حين سمعهما يتحدَّثان، وهو في سريره، عن أعمالهما، نهض بهدوء، واندسَّ تحت مقعد والده ليسمعهما من غير أن يرياه. ثم إنه عاد

إلى سريره ولم يغمض له جفنٌ بقية تلك الليلة، لأنه كان يفكِّر فيما يفعل. ونهض في الصباح مبكِّراً، وذهب إلى حافَّة جدول، وملأ جيوبه بحصىً بيضٍ صغيرة، ثم عاد إلى المنْزِل .

انطلق الجميع مع والدَيْهِم من غير أن ينطق (الإبهام الصغير) لإخوته بشيءٍ عن كلِّ ما يعرف، وذهبوا إلى غابة كثيفة الأشجار جداً، حتى إن الواحد منهم لا يرى الآخر فيها على بعد عشر خطوات .

شرع الحطاب يقطع الحطب من الغابة، وكان الأولاد يجمعون الأغصان ليصنعوا منها حُزَماً مربوطة. ولما رآهم الأب والأم مشغولين بهذا العمل، ابتعدا عنهم شيئاً فشيئاً، ثم هربا فجأة عبر طريق متعرِّجة في الغابة. ولما وجد الأولاد أنفسهم وحيدين في هذه الغابة انخرطوا في البكاء، وراحوا يصرخون بكل قوتهم .

تركهم (الإبهام الصغير) يبكون ويصرخون، لأنه كان يعرف من أي طريق سيعود بهم إلى البيت، لأنه كان يلقي بالْحُصَيَّاتِ البيض التي يحملها في جيوبه وهو يمشي على طول الطريق في الغابة. ولذلك قال لهم :

- يا إخوتي .. لا تخشوا شيئاً .. إن أبي وأمي تركانا هاهنا، ولكني سأقودكم إلى البيت، وما عليكم إلا أن تتبعوني فقط ..

اتَّبعه إخوتُه، فقادهم إلى البيت عبر الطريق نفسها التي كانوا قد ذهبوا فيها إلى الغابة. ولما وصلوا إلى البيت لم يجرؤوا على الدخول إليه في البداية، فجلسوا جميعاً قرب الباب ليستمعوا إلى ما كان أبوهما وأمُّهما يقولان ..

وكان عمدةُ القرية، حين وصل الحطاب وزوجته إلى بيتهما، قد أرسل إليهما عشرة (إيكوهات) écus، كانت لهما عليه منذ زمن بعيد، ولم يكونا يأمُلان في أن يستردّا منها شيئاً، وهذا المبلغ سيردّ فيهما الحياة في الوقت الذي كان فيه الآخرون يموتون جوعاً .

أرسل الحطاب زوجته فوراً إلى دكان اللحام، فاشترت من اللحم ثلاثة أضعاف ما يحتاجه اثنان للعَشاء، وكأنها لم تتناول الطعام منذ زمن طويل. وبعد أن أكلا وشبعا قالت الزوجة :

- وا حسرتاه ! أين هم الآن أولادنا المساكين ؟!.. كان بالإمكان أن يتناولوا طعاماً فاخراً مما بقي عندنا هاهنا .. ولكنك أنت يا (غِيُّوم) Guillaume مَنْ كان يرغب في إضاعتهم .. وقد قلتُ لك إننا سنندم على ذلك .. ماذا يصنعون الآن في تلك الغابة؟! .. آهٍ يا ربي ! ربما أكلتهم الذئاب .. أنت لستَ إنساناً حين فكرتَ في أن تضيِّع أولادك هكذا !..

نفِد صبرُ الحطاب أخيراً، لأنها كررت على مِسْمَعَيْهِ أكثر من عشرين مرة قولها إنهما سيندمان على فعلتهما تلك، فهدَّدها بالضرب إنْ لم تسكت .

لم يقل الحطاب ذلك لأنه لم يكن أقل ضيقاً وندماً من امرأته على فعلتهما، ولكنه قاله لأنها صدَّعت له رأسَه بكلامها. وقد كان متقلِّب المزاج مثل كثيرين غيرِه ممَّنْ يحبون حباً جماً النساء اللواتي يتحدثن بحديث صائب، غير أنهم ينْزعجون جداً من اللواتي يتحدَّثن دائماً بأحاديث صائبة. انخرطت الزوجة في البكاء وهي تقول :

- وا حسرتاه! أين هم أولادي الآن.. أولادي المساكين؟!..

وقد قالت ذلك في مرة من المرات بصوت عالٍ جداً، حتى إن الأولاد الذين كانوا عند الباب أخذوا جميعاً ومعاً يصيحون حين سمعوه قائلين :

- ها نحن أولاءِ ! ها نحن أولاءِ !..

فلما سمعتهم أمهم جرت بسرعة نحو الباب وفتحته لهم وقالت وهي تحتضنهم :

- كم أنا سعيدة برؤيتكم يا أولادي الأعزاء ! أنتم مرهقون وجائعون جداً .. وها أنت يا (بييرو) Pierrot ملطَّخٌ بالوَحْل، فتعال لأغسِّلك ..

و(بييرو) هذا هو أكبر أولادها، وكانت تحبّه أكثر من الآخرين جميعاً، لأنه كان أصهب الشعر وكانت هي صهباء الشعر .

جلس الأولاد جميعاً إلى المائدة، وأكلوا بشهية أدخلت السرور في نفس الأبوين، وقد تحدَّثوا لهما عن الخوف الذي ساورهم وهم في الغابة .. وكانوا يتحدَّثون جميعاً معاً تقريباً. وقد فرح الأبوان الطيِّبان برؤية أولادهما معهما، غير أن فرحة الأبوين هذه ستستمر ما دام المالُ موجوداً، ثم سيعودان بعد نفادِه إلى غمِّهما الأول .. وسيقرران ثانية التخلُّص من أولادهما. وكي لا يُخْفِقا هذه المرة في ذلك، فإنهما سيأخذانهم إلى مكان أبعد بكثير من المكان الأول. ولم يتكلَّما سراً في ذلك خشيةَ أن يسمعهما (الإبهام الصغير)، فيحسب حساب الخروج من المأزق كما فعل في المرة السابقة .

غير أن (الإبهام الصغير) الذي استيقظ مبكِّراً في الصباح ليجمع الحصَيَّات لم يستطع تحقيق ذلك، لأنه وجد باب المنْزل مغلقاً بطَقَّتين، ولم يدرِ ما يفعل. ولكن حين أعطت الأم كل واحد من أولادها قطعة خبز لفطورهم فكَّر في أن يستعمل هذه القطعة بدلاً من الحصَيَّات، وذلك بإلقائها فُتَاتاً على طول الطريق التي سيسلكونها إلى الغابة، لذلك صرَّها في جيبه، وذهب بهم الأبوان

إلى المكان الأكثر كثافة والأشد ظلاماً في الغابة. وقد اختلقا، منذ وصولهم، حيلةً وتركاهم هناك.

لم يكن (الإبهام الصغير) مهتماً كثيراً لذلك، لأنه كان يعتقد أنه سيجد طريقه بسهولة بواسطة فُتَاتِ الخبز الذي نثره على طول الطريق التي مروا بها. ولكنه فوجئ مفاجأة عظيمة عندما عجز عن العثور على أي قطعة من الفُتَاتِ، لأن العصافير كانت قد أكلتها. وها هم الأولاد جميعاً الآن في حزن شديد من ذلك، لأنهم مشوا كثيراً، وتاهوا كثيراً، وتوغَّلوا كثيراً في تلك الغابة، ثم خيَّم الظلام عليهم، وهبَّت رياحٌ قوية أدخلت الرعب الشديد في نفوسهم، ولم يكونوا يسمعون من جميع الجهات سوى عواء الذئاب التي كانت قادمة لتأكلهم. ولم يكونوا يجرؤون تقريباً على الكلام ولا على الالتفات برؤوسهم. ثم نزل فجأة مطرٌ غزير بلَّلَهم حتى العظم، وكانوا يَزْلَقُون في كل خطوة يخطونها ويقعون على الوَحْل، ثم ينهضون وقد لُطِّخوا به تماماً، ولم يدروا ما يصنعون .

تسلَّق (الإبهام الصغير) شجرة عالية ليرى إن كان يستطيع أن يكتشف شيئاً، وقد أدار رأسه في كل اتجاه، فرأى بَصِيصَ نورٍ كأنه نورُ قِنْديلٍ، غير أنه كان ينبعث من مكان بعيد جداً وراء الغابة. فنَزل عن الشجرة، ولكنه حين وصل إلى الأرض لم يرَ شيئاً، فتألَّم لذلك .

وبينما هو يمشي بعض الوقت مع إخوته في الاتجاه الذي قدَّر أن النور كان ينبعث منه، إذا به يراه مرة ثانية وهم يخرجون من الغابة .

ووصلوا، أخيراً، إلى المنْزل الذي كان نور القنديل ينبعث منه، وكان كل ذلك بعد فزع عظيم، لأنهم كانوا أحياناً يفقدون الرؤية، وكانوا دائماً يسقطون في بعض الحفر .

طرقوا باب ذلك المنْزل، ففتحت لهم امرأةٌ طيِّبةٌ، فسألتهم عما يريدون، فقال لها (الإبهام الصغير) إنهم أولاد مساكين ضلُّوا في الغابة، ويطلبون معروفها في أن يبيتوا عندها. رأت المرأة أنهم جميعاً جميلون جداً، فانخرطت في البكاء، وقالت لهم :

- وا حسرتاه يا أولادي ! إلى أين جئتم ؟ اعلموا جيداً أن هذا البيت لغولٍ يأكل الأولاد الصِّغار ..

قال (الإبهام الصغير) وهو يرتعد بكل قوة مثل إخوته من شدة الخوف :

- ويلنا يا سيِّدتي ! وماذا نفعل الآن ؟ من المؤكَّد أن ذئاب الغابة لن تقصِّر في أكلنا هذه الليلة أيضاً إن لم تعملي على إنقاذنا عندك .. فإن فعلتِ فإننا نفضِّل أن يكون سيِّدُ هذا البيت هو الذي يأكلنا، وربما أشفق علينا إن حاولتِ التوسُّل إليه من أجلنا ..

أدخلتهم زوجة الغول، وكانت تعتقد أن بإمكانها أن تخفيهم عن زوجها إلى صباح الغد، وقادتهم إلى مكان يتدفَّؤون فيه على نار جيدة كان عليها خروف شُكَّ بسَفُّود ليكون عَشاءً للغول. ولما أخذ الدفء يسري في أجساد الصغار سمعوا ثلاثَ طَرْقاتٍ شديدة أو أربعاً على الباب .. إنه الغول العائد إلى بيته ..

خبَّأت الزوجة الأولاد فوراً تحت السرير، وذهبت لتفتح له الباب. وقد سألها الغول أولاً إن كان العَشاءُ جاهزاً، وإن كانت قد أعدَّت له الخمر، وجلس من فوره إلى المائدة. كان الخروف على النار لا يزال نيِّئاً، ولكنه كان يرى ذلك أنسَبَ له. ثم إنه تنشَّق يميناً ويساراً وقال لامرأته إنه يشم رائحة لحم طازَج، فقالت له :

- يبدو أن ما تشمُّه هو الشِّواء الذي أعِدُّه لك ..

نظر الغول إلى زوجته بطرف عينيه وقال :

- أقول لك مرة ثانية .. إنني أشمُّ رائحة لحمٍ طازَجٍ .. وهنالك شيء ما !..

قال هذه الكلمات، ثم نهض عن المائدة، واتَّجه فوراً إلى السرير، فرأى الصغار تحته، فقال لزوجته :

- ها أنتِ ذِيْ تريدين أن تخدعيني يا زوجتي اللعينة !.. ولا أدري لماذا لم آكلك أيضاً على الرغم من أنك تبدين حيواناً

عجوزاً .. ها هو الصيدُ الذي جاءني في الوقت المناسب لأكرِم ثلاثة غيلانٍ من أصدقائي الذين سيأتون لرؤيتي هذه الأيام ..

ثم أخرج الأولادَ من تحت السرير واحداً تلو الآخر، فجثا هؤلاء المساكين على رُكَبِهم طالبين منه العفو عنهم، ولكنهم كانوا يطلبون ذلك من أكثر الغيلان جميعاً قسوةً، وكان يبدو – وهو يلتهمهم بعينيه – بعيداً جداً عن أي شفَقة. وقد قال لزوجته إنه ستكون هنالك قطع لحم لذيذة حين تصنع منهم صلصة طيِّبة. ثم إنه ذهب وتناول سكيناً كبيرة، واقترب من هؤلاء الأولاد المساكين، وأخذ يَسُنُّها على حجرٍ طويلٍ كان يمسِك به في يده اليسرى. ثم قبض على واحدٍ منهم، فقالت له زوجته :

- ماذا تريد أن تصنع في مثل هذه الساعة ؟ أليس عندك وقتٌ كافٍ غداً صباحاً ؟!

رد الغول عليها قائلاً :

- اخرسي أنتِ .. فإنهم سيتألَّمون كثيراً إلى ذلك الوقت !

فقالت له :

- ولكن عندنا لحم كثير الآن !.. فهذا عجلٌ .. وهذان خروفان .. وهذا شطرُ خِنْزيرٍ ..

فقال لها :

- الحقُّ معك، فأعطيهِم ما يتعشَّوْنَ به حتى لا يَهْزُلوا، ثم اذهبي بهم ليناموا ..

أثلَج الفرح بهذا الأمر صدر المرأة الطيِّبة، وأخذتهم لتعشِّيَهم، غير أنهم لم يستطيعوا أن يأكلوا، لأنهم كانوا ممتلئين خوفاً .

وأما الغولُ فقد شَرَع في شرب الخمر، وقد سُرَّ سروراً عظيماً بما سيُولِم لأصدقائه، وقد شرِب اثنتي عشرة كأساً، وهذا أكثرُ من المعتاد، مما أشعره بشيء من الصُّدَاع في رأسه، فاضطره ذلك إلى الذهاب للنوم .

كان للغول سبع بنات لا يزلن صغيرات، وكان لهن سِحْنةٌ جميلة جداً، لأنهن كن يأكلن لحماً طازَجاً كأبيهن، ولكن عيونهن كانت صغيرة ومدوَّرة، وكانت أنوفهن معقوفة، ولم يكُنَّ بعدُ شريرات، ولكنهن كنَّ يَعِدْنَ بالكثير، لأنهن الآن يكتفين بعَضِّ الأطفال الصِّغار لامتصاص دمائهم، وكنَّ يأوين إلى فُرُشِهِنَّ في وقت مبكِّر، وكنَّ ينمْنَ جميعاً في سرير واحد كبير، وكان على رأس كل واحدة منهن تاجٌ ذهبيٌّ.

كان في الغرفة نفسها سريرٌ آخرُ بذات الحجم، فبيَّتَت امرأة الغول الصبيان السبعة الصغار على هذا السرير، ثم ذهبت بعد ذلك لتنام إلى جانب زوجها .

لاحظ (الإبهام الصغير) أن بنات الغول كنَّ يضعن على رؤوسهن تيجاناً ذهبية، ولما كان يخشى أن يندم الغول على عدم ذبحه الأولاد في ذلك المساء وأن يعود لذبحهم، فقد أخذ – في

منتصف الليل – طاقيته وطواقي إخوته، وذهب بهدوء تام لينْزِع التيجان الذهبية عن رؤوس بنات الغول السبع ويُلْبِسَهُنَّ تلك الطواقي، ثم عاد فوضع التيجان على رأسه ورؤوس إخوته، ليظن الغول أنهم بناته وأن بناته هن الأولاد الذين يريد ذبحهم .

تَمَّ الأمر حسبما توقَّع (الإبهام الصغير) ، لأن الغول - الذي استيقظ في منتصف الليل – كان أسِفاً لأنه أجَّل إلى الغد ما كان بإمكانه أن ينجزه في العَشِيَّة. ولِذا ألقى نفسه بقوَّة خارج السرير، وتناول سكيناً كبيرة، وقال :

- سأذهب وأرى كيف حال الأطفال الخبثاء .. ولن أذبحهم على دفعتين ..

صعِد الغول في العتمة متحسِّساً طريقه إلى غرفة بناته، واقترب من السرير الذي كان الصبيان الصغار يغطون عليه جميعاً في النوم ما عدا (الإبهامَ الصغير) الذي تملَّكه الخوف حين شعر بيد الغول تتحسَّسُ رأسه كما تحسَّست رؤوس إخوته كلهم. قال الغول الذي لمس التيجان الذهبية :

- حقاً سأقوم بعمل رائع هنا .. وأرى أنني قد أفرطتُ في الشراب مساء ..

وتوجَّه من ثَمَّ إلى سرير بناته، وقال حين لمس طواقي الصبيان :

- آه .. ها هم الممتلئون عافيةً .. لأعملْ بجرأةٍ !..

قطع الغول، وهو يردِّد هذه الكلمات، وبلا تردُّدٍ، أعناقَ بناته السبع. ثم ذهب - وهو فرحانُ بعمله هذا – لينام إلى جانب زوجته.

أيقظ (الإبهام الصغير) ، حين سمع الغول يَشْخر، إخوته وطلب إليهم أن يتهيَّؤوا سريعاً ويتَّبِعوه. ونزل الجميع ببطء إلى الحديقة، وقفزوا من فوق الأسوار، ثم راحوا يركضون الليل كله تقريباً، وهم مضطربون ولا يعرفون إلى أين كانوا ينطلقون .

لما استيقظ الغول قال لزوجته :

- اصعدي إلى فوق وهيِّئي أطفال الأمس الخبثاء هؤلاء للمساء !..

دُهِشَت الغولةُ جداً لطيبة زوجها، ولم تشُكَّ في الطريقة التي كان ينتظر أن تهيِّئهم بها، فقد كانت تعتقد أنه أمرها بأن تذهب إلى هؤلاء الأطفال لتُلْبِسَهم ثيابهم. وصعِدت إلى فوق، ففوجئت مفاجأة شديدة حين رأت بناتِها السبعَ وقد ذُبِحْنَ وغرقن بدمائهن، وأُغْمِي عليها (لأن الإغماء هو أول تصرُّفٍ تقوم به كلُّ النساء تقريباً في مثل تلك الظروف). ولما رأى الغولُ أن زوجته قد أطالت الْمُكْثَ في العمل الذي كلَّفها به صعِد إلى فوق لمساعدتها. ولم يكن الغولُ أقل دهشةً من زوجته حين رأى هذا المنظر الفظيع، فصاح :

- ماذا صنعتُ هنا ؟ إن هؤلاء الأطفال التعساء سيدفعون الثمن .. وسيكون ذلك قريباً ..

صبَّ الغول في الحال ماء على وجه زوجته فأفاقت .. فقال لها :

- أعطيني بسرعة حذائي ذا السبعة فراسخ حتى ألحق بالأولاد وأقبض عليهم ..

أخذ الغول يضرِب في الأرض، وبعد أن ركض بعيداً جداً في كل اتجاه دخل أخيراً في الطريق التي كان الأولاد الصغار يسلكونها، وكانوا على بعد مئة خطوة فقط من بيت أبيهم، حين رأوا الغولَ ينطلق وراءهم قافزاً من جبل إلى جبل، وقد كان يجتاز الأنهار بسهولة كأنه يجتاز جدولاً صغيراً جداً .

رأى (الإبهام الصغير) صخرة مجوَّفة قرب المكان الذي كانوا فيه، فخبَّأ إخوته الستة فيها، واندسَّ هو نفسه معهم، وهو ينظر باستمرار إلى ما سيفعل الغول. وجد الغول نفسه شديد التعب من الطريق الطويل الذي انطلق فيه بلا فائدة، كما أن الحذاء ذا السبعة فراسخ كان يرهق لابسه إرهاقاً شديداً، ورغب في أن يرتاح قليلاً، فجلس مصادفةً على الصخرة التي كان الصبيان السبعة الصغار يختبئون فيها. ولما كان شديد التعب، وبعد أن ارتاح، رغب في أن ينام بعض الوقت، ثم شرع يَشْخر

شخيراً فظيعاً جداً، إلى حد أن الأولاد المساكين لم يعودوا يخافون منه إلا حين أمسكوا بسكينه الكبيرة وقطعوا بها عنقه، وكان (الإبهام الصغير) أقلهم خوفاً منه، وقد طلب إلى إخوته أن يهربوا بسرعة إلى البيت .

اقترب (الإبهام الصغير) من الغول، وسحب نعليه من رجليه ولبسهما فوراً. كان النعلان كبيرين وفضفاضين جداً على رجليه، ولما كانا حذاءين سحريين فقد كانت لهما القدرة على أن يتوسَّعا أو يضيقا على قدر رجلَيْ مَنْ ينتعلهما، وهكذا أصبحا على قدر رجلَي (الإبهام الصغير) وساقيه، وكأنهما قد صنعا له.

انطلق (الإبهام الصغير) بالحذاء مباشرة إلى بيت الغول، فوجد امرأته تبكي عند سرير بناتها المذبوحات، فقال لها :

- إن زوجك في خطر عظيم .. فقد أخذته عصابة من اللصوص وأقسمت أن تقتله إن لم يعطِها كل ما عنده من ذهب وفضة .. وحين قبضوا على عنقه ليذبحوه لمحني، وتوسَّل إليَّ أن آتي إليكِ لأخبرك بالحالة التي هو عليها، ولأطلب إليك أن تعطيني كل ما عنده من المال من غير أن تمسكي شيئاً منه، وإلا فإنهم سيقتلونه بلا شفقة .. ولما كان الأمر مستَعْجَلاً فقد طلب إليَّ أن أنتعل حذاءه ذا السبعة فراسخ هذا للاستعجال، وكي لا تظني أيضاً أنني أكذب عليك ..

زوَّدتْه المرأةُ الطيِّبةُ المرعوبة جداً على زوجها بكل ما لديها من مال فوراً، لأن هذا الغول كان دوماً زوجاً طيِّباً جداً معها، مع أنه كان يأكل الأطفال الصغار .

لما تسلَّم (الإبهام الصغير) كل ما عند الغول من ثروة عاد بها إلى بيت أبيه، حيث استقبل بفرحةٍ عارمة جداً ..

تعقيب

هناك كثير من الناس لا يتَّفقون مع التصرُّف الأخير لـــ(الإبهام الصغير) ، ويزعمون – بحسن ظنٍّ - أنه لم يقم بسرقة ثروة الغول تلك، وأنه لم يأخذ في الحقيقة حذاءه ذا السبعة فراسخ إلا ليستعمله في اللحاق بإخوته الصغار ويأكل ويشرب في بيت أبيه.

كما أن هؤلاء الناس يؤكِّدون أن (الإبهام الصغير) ذهب، حين انتعل حذاء الغول، إلى قصر الملك، لأنه علم أنه كان قلقاً على جيش له كان يقاتل العدو على بعد مئتي فرسخ منه، كما كان قلقاً أيضاً على نتيجة المعركة التي كان قد أمره بخوضها. وقالوا إنه لقي الملك، وذكر له أن بإمكانه أن يحمل له أخبار جيشه قبل انقضاء النهار إن كان يرغب في ذلك، فوعده الملك بمبلغ كبير من المال إن فعل، فحمل (الإبهام الصغير) أخبار الجيش إلى الملك في المساء نفسه، وقد جعله مسعاه الأول هذا شخصية معروفة، فحصل من ذلك على كل ما كان يرغب فيه، لأن الملك دفع له أجراً مجزياً ليحمل أوامره إلى الجيش، كما أن عدداً لا يُحْصَى من السيِّدات أعطينه كل ما كان يطلب مقابل نقل الأخبار عن عُشَّاقهن. وكان هذا مصدر دخله الأكبر. وكانت هنالك بعض النسوة اللواتي كنَّ يحمِّلْنه رسائل إلى

أزواجهن، غير أنهن كنَّ يدفعن له قليلاً، وكان ذلك أمراً قليل الأهمية إلى درجة أنه لم يكن يستحق أن يوضع ضمن ما كان يكسبه من ذلك المصدر السابق .

وبعد أن عمل (الإبهام الصغير) مدة من الزمان في مهنة (ساعي البريد) هذه، وجمع منها ثروة وفيرة، عاد إلى بيت أبيه، حيث لم يكن بالإمكان تصوُّر الفرحة التي ظهرت عند رؤيته ثانية. وقد رفَّه أسرته كلَّها، واشترى وظائف حديثة الإنشاء لكلٍّ من أبيه وإخوته، فجعلهم بهذا يستقرُّون جميعاً، وابتنى لنفسه في ذات الوقت قصراً مهيباً ..

* * *

٩

الجِنِّيَّات

Les fées

كان في زمن من الأزمان أرملةٌ لها بنتان : كانت كُبْراهما تشبه أمَّها شبهاً كبيراً جداً بالوجه والطبع، إلى حد أن مَنْ كان يراها يرى فيها الأمَّ، وكانت هذه البنت وأمها سَمِجَتَيْنِ ومغرورتين جداً، إلى حد أن المرء لم يكن يطيق العيش معهما. أما البنتُ الصغرى فكانت صورة حقيقية من أبيها في الرقَّة واللباقة، وكانت من أجمل الفتيات التي تراها العين .

وكما يحب المرء محبة طبيعية مَنْ يشبهه، فقد كانت هذه الأم مولعة بابنتها الكبرى، وكانت – في الوقت نفسه – تضمر للصغرى كراهية فظيعة. ولذا كانت تجعلها تأكل في المطبخ وتعمل بلا انقطاع .

كانت هذه الطفلة المسكينة تذهب مرتين يومياً لإحضار الماء في جرَّة كبيرة تحملها من مسافة نصف فرسخ من البيت. وذات

يوم أتتها – وهي على النبع – امرأةٌ مسكينة، ورَجَتْها أن تسقيها شربة ماء، فقالت لها هذه البنت الجميلة :

- نعم .. تفضَّلِي أيتها الأمُّ الطيِّبة ..

ثم إنها غسلت الجرَّة فوراً، وملأتها ماء من أفضل موضع في النبع، ثم ناولتها إياها وهي تَسْنِد الجرَّة لكي تشرب منها بكل سهولة ويسر. فقالت لها المرأة الطيِّبة بعدما شربت :

- أنتِ جميلة ولَبِقَة جداً إلى حد أنني لا أستطيع مَنْعَ نفسي من تقديم هِبَةٍ لك ..

وذلك لأن هذه المرأة كانت جِنِّيَّةً أخذت صورةَ قُرَوِيَّة فقيرة، لترى إلى أين تصل لباقة هذه البنت الشابة. وقد تابعت الجنية قولها :

- وهِبَتِي لك من عندي هي أن تخرج من فمك حين تتكلمين زهرةٌ أو حجرٌ كريمٌ ..

وعندما وصلت هذه الفتاة الجميلة إلى البيت، وبَّخَتْها أمُّها لأنها عادت متأخِّرةً جداً من النبع ..، فقالت البنت المسكينة :

- أسألك العفو يا أمِّي لتأخُّري زمناً طويلاً ..

وحين نطقت بهذه الكلمات.. خرجت من فمها وردتان، ولؤلؤتان، وماستان كبيرتان.. فقالت الأمُّ وقد دُهِشَت لذلك تماماً:

- ماذا أرى ؟ أعتقد أن لآلئ وماساتٍ تخرج من فمك .. فمن أين جاءت يا ابنتي ؟!..

وكانت هذه هي المرة الأولى التي تخاطبها فيها بالقول (يا ابنتي) .. فروت لها الطفلة المسكينة بسذاجة كل ما جرى لها، وكانت الماسات تتساقط، أثناء كلامها، من فمها باستمرار. فقالت الأم :

- ينبغي لي، في الحقيقة، أن أرسل ابنتي[1] إلى هناك !

ثم صاحت :

- ويحك يا (فانشون) Fanchon ! انظري ماذا يخرج من فم أختك حين تتكلَّم .. ألن تكوني سعيدة لو مُنِحْتِ الهِبَة نفسَها ؟!.. ما عليكِ إلا أن تذهبي لإحضار الماء من النبع، وأن تقدِّمي الماء بلباقةٍ إلى امرأةٍ مسكينة حين تطلب إليك أن تسقيها شربة ماء ..

فأجابت الفتاة الشَّرِسة :

- وهل يليقُ بي أن يراني الناسُ ذاهبةً إلى النبع ؟! ..

فقالت الأم :

- أريدك أن تذهبي إليه وفوراً !

ذهبت الفتاة إلى النبع وهي تدمدم، وقد أخذت أجمل قارورة فِضِيَّة في البيت، ولم تكد تصل إلى النبع حتى رأت سيِّدة تخرج

---

(١) تريد بقولها (ابنتي) هنا البنت الكبرى المدلَّلة عندها. (المترجم)

من الغابة، وهي ترتدي ثياباً فاخرة، واقتربت منها طالبة أن تسقيها شربة ماء. لقد كانت هذه السيدة هي الجنية نفسها التي ظهرت لأختها، ولكنها اتَّخذت هذه المرة هيئة أميرة وثيابها، لترى إلى أين تصل قلة أدب هذه الفتاة. فقالت لها الفتاة الشرسة المغرورة :

- هل جئتُ إلى هنا حتَّى أسقِيَكِ أنتِ ؟! لقد أحضرتُ قارورة من فضة قصداً حتَّى أسقي بها امرأة مسكينة .. فاشربي منها إن شئتِ !

قالت لها الجنية من غير أن تظهر لها غضباً عليها :

- أنت غيرُ لبِقَة ! وبما أنك متفضِّلةٌ قليلاً .. فسوف أمنحك هِبَةً هي أن تخرج من فمك حين تتكلمين أفعى أو ضفدعة ..

عادت البنت إلى البيت، فصاحت فيها أمها قبل كل شيء حين أبصرتها :

- بشِّري يا ابنتي !

فردَّت عليها الفتاة الشرسة قائلة :

- حسناً يا أمي !

فخرجت من فمها حين نطقت بذلك أفعيان وضفدعتان. فصاحت الأم :

- يا لَلسماءِ .. ماذا أرى ؟! لقد كانت أختكِ السبب .. فهي التي دفعتني إلى ذلك ..

ثم انطلقت نحو ابنتها الصغرى لتضربها، فهربت المسكينة، لتنقذ نفسها، إلى الغابة القريبة، فلقيها ابن الملك الذي كان عائداً من رحلة صَيْد، فرأى جمالها الساحر، وسألها عما تفعل في الغابة وحيدة وعما كان يدعوها إلى البكاء، فقالت :

- وا حسرتاه يا سيِّدي ! لقد طردتني أمي من البيت ..

فرأى ابنُ الملك خمساً أو ستاً من اللآلئ وكثيراً من الماسات تخرج من فمها أثناء كلامها، فرجاها أن تخبره من أين جاء ذلك. فقصَّتْ عليه مغامرتها كلَّها ..

وقع ابن الملك في غرامها، وهو يرى أن هبةً كهذه أفضل له من أن يتزوج من فتاة أخرى. ثم إنه ذهب بها إلى قصر والده الملك وتزوجها .

وأما أختها فقد جعلتِ الجميع يكرهونها كرهاً شديداً، حتى إن أمها طردتها من البيت، فذهبت هذه الشقية – بعد أن ركضت كثيراً من غير أن تجد أحداً يرغب في استقبالها – لتموت في ركن من أركان الغابة .

* * *

١٠

سِنْدريلاّ[١]

Cendrillon (ou: La Petit Pantoufle de verre) (= Cinderella)

كان في زمن من الأزمان رجلٌ تزوَّج بامرأة لم يُرَ أشدَّ منها تعالياً ولا أعظمَ اختيالاً ، وقــد كان عندهــا بنتان على شاكلتهــا

---

(١) هذه التسمية هي الاسم الإنكليزي الذي شاع في معظم لغات العالم، ومنها لغتنا العربية، لاسم بطلة الحكاية الشعبية الفرنسية التي أثبتها (شارل برُّو) في مجموعته. وأما الاسم الفرنسي لبطلة هذه الحكاية فهو (سَنْدرِيُّون) Cendrillon المشتقة من كلمة (cendre) بمعنى (رماد) ، نظراً لأن البطلة كانت تجلس أمام الموقد على كومة رماد أو لأنها كانت تنام عليه أو لأن الرماد كان يلوث ثيابها دائماً، وأياً ما كان السبب فقد أصبح الاسم المستعمل في الترجمة الإنكليزية (سِندريلا) Cinderella هو الشائع على ألسنة الناس، ولذا آثرنا استعماله في هذه الترجمة العربية مراعاة لذلك فقط، علماً أن الكلمة إنما هي نسبة إلى كلمة (cinders) الإنكليزية التي تعني أيضاً (الرماد) كما في الأصل الفرنسي. (المترجم)

تشبهانها في كل شيء. أما الزوج فكان له بنتٌ صبيةٌ، في غاية الرِّقَّة والطِّيْبَة، وكانت قد ورثت ذلك عن أمِّها التي كانت من أفضل النساء بين الناس.

لم تكد احتفالات العرس تنقضي حتى كشفت زوجة الأب عن طبعها الشرير، فهي لم تُطِقْ تلك الصفات الرائعة في هذه الصبيَّة، وهذه الصفات جعلت ابنتيها أشد بغضاً لها منها أيضاً، ولذا كانت تكلِّفها بأحطِّ أعمال المنْزل، فكانت تنظِّف الأواني والسلالم، وتشطف غرفة السيِّدة وغرفتي الآنستين ابنتيها.

وكانت هذه الصبية تنام على فراش من قشٍّ خشِن في سقيفة على سطح المنْزل، أما البنتان الأخريان فكانتا تنامان على سريرين من أفضل طراز، في غرفتين ذواتي أرضية خشبية، وعندهما مرايا تريان نفسيهما فيها من أقدامهما إلى رأسيهما .

كانت الصبية المسكينة تتحمَّل كل ذلك بصبرٍ، ولم تكن تجرؤ أن تشكو حالها لأبيها، لأنه كان يقابل شكواها بالتوبيخ، فقد كانت زوجته تحكمه حكماً تاماً .

كانت الصبية تذهب، بعد إنجاز أعمالها، إلى زاوية الموقد لتجلس على (الرماد) (سَنْدر) cendres، ولذلك أطلقوا عليها في البيت – من باب السخرية - اسم (كوسَنْدرون) Cucendron،

ولما كانت البنت الصغرى أقلَّ لؤماً من أختها الكبرى فقد كانت تناديها باسم (سِندريلا) Cendrillon، ومع ذلك كانت (سندريلا) - بثيابها الرَّثَّة - أجملَ بمئة مرة من الأختين، فكيف يمكن أن تبدو لو لبست ثياباً فاخرة جداً ؟!

وحدث ذات يوم أن ابنَ الملِك دعا إلى حفلة أقامها كلَّ أبناء وبنات الذوات في المجتمع، فدُعِيَتْ إليها أيضاً آنستانا، لأنهما كانتا تُعَدَّان من الشخصيات البارزة في البلد. وها هما الآن فرِحتان جداً بالدعوة، ومنشغلتان جداً كذلك باختيار ثيابهما وتسريحتهما التي تُظْهِرهما بصورة أفضل، وكان في ذلك عبْءٌ جديد على (سندريلا)، لأنها هي التي ستكوي ملابس الأختين، وهي التي ستضفر لهما جدائلهما، ولم يكن الحديث يدور بينهما إلا عن الطريقة التي ترتدي بها كلٌّ منهما ثيابها.

قالت الكبرى :

- سألبَس ثوبي المخمليّ الأحمر .. مع حُلِيَّ الإنكليزية ..

وقالت الصغرى :

- أنا ليس عندي سوى تنورتي المألوفة .. ولذا سألبَس مِعْطَفي المزيَّن بالأزهار الذهبية .. مع قِلادَتي الماسِيَّة ..

بحثت الأختان عن طاولة زينة جيِّدة لتنسيق جدائلهما في طبقتين، وقامتا بشراء شكَّالات جيِّدة الصنع، ثم استدعتا (سندريلا) لتسألاها رأيها، نظراً لأن ذوقها كان رفيعاً، وكانت تنصحهما نصحاً أفضل من نصح الناس، فاقترحت عليهما أن تمشِّط لهما شعرهما، وهو الأمر الذي كانتا ترغبان فيه .. وقالتا لها أثناء التمشيط :

- سندريلا .. هل كنت تفرحين لو أنك دُعِيْتِ إلى الحفلة ؟

فقالت :

- أنتما تسخران مني، يا آنِسَتَيَّ، فليس لي هناك ما أفعله ..

فقالتا :

- أنتِ على حقٍّ .. لأن الناس سيضحكون هناك كثيراً إذا رأوا (سندريلا) في الحفلة ..

لو أن واحدة أخرى غير (سندريلا) كانت تمشِّطهما لغشَّتهما، غير أنها كانت طيِّبة معهما فمشَّطتهما تمشيطاً جيِّداً .

ظلَّت الأختان قرابة يومين بلا طعام، لأنهما كانتا ممتلئتين فرحة، وقد قطَّعتا أكثر من اثني عشر حزاماً من فرط الشدِّ لجعل قوامهما نحيفاً .. وكانتا ترابطان دوماً أمام المرآة .

وأخيراً جاء اليوم السعيد فانطلقتا إلى الحفلة، وكانت (سندريلا) تتبعهما بنظرها أطول مدة ممكنة، حتى إذا غابتا عن

نظرها انخرطت في البكاء .. فحضرت (إشبينتها)[1] marraine، التي كانت ساحرة، وسألتها – حين رأتها تبكي – عما بها، فقالت لها :

- أرغب في .. أرغب في ..

وكانت تنتحب بشدة، ولم تستطع التوقف عن البكاء .. فقالت إشبينتها :

- ترغبين في الذهاب إلى الحفلة .. أليس كذلك ؟

فقالت (سندريلا) وهي تتنهَّد :

- بلى !

فقالت الإشبينة :

- حسناً .. طِيْبِي نفساً .. سوف أجعلك تذهبين إليها ..

ثم قالت لها :

- اذهبي إلى البستان وأحضري لي يقطينة ..

فذهبت (سندريلا) فوراً، وقطعت أجمل يقطينة عثرت عليها، ثم حملتها إلى إشبينتها، ولم تستطع أن تتنبَّأ كيف يمكن هذه اليقطينةَ أن تجعلها تذهب إلى الحفلة .

---

(١) **الإشبينة**: هي التي تتوكَّل بكفالة الطفل أو الطفلة عند التعميد في الكنيسة أو تسميهما، وتقابل في الإنكليزية كلمة (عرَّابة) godmother. (المترجم)

حفرت الإشبينة اليقطينة، ولم تبقِ منها سوى قشرتها، ثم ضربتها بعصاها، فتحوَّلت اليقطينة، في الحال، عربةً جميلة مذهَّبة، ثم نظرت إلى مصيدة (سندريلا) فوجدت فيها ستاً من الفئران على قيد الحياة، فطلبت إلى (سندريلا) أن ترفع باب المصيدة قليلاً، وكانت كلما خرجت منها فأرة تضربها بعصاها، فتتحوَّل – في الحال – حصاناً رائعاً، وحصلت بالنتيجة على ستة أحصنة لونها رمادي جميل كلون الفئران .

وبينما كانت الإشبينة تفكِّر فيمن يكون سائقاً للعربة قالت لها (سندريلا) :

- سأذهب لأرى إن كان في مصيدة أخرى جُرَذٌ نجعله سائقاً للعربة ..

فقالت :

- معك حقٌّ .. اذهبي !

ذهبت (سندريلا) وأحضرت مصيدة فيها ثلاثة جرذان كبيرة، فالتقطت الساحرة أطولها شاربين، ولمسته بالعصا، فتحوَّل حوذِيَّاً ضخماً له أجمل شاربين على الإطلاق، ثم قالت لها :

- اذهبي إلى البستان، وستجدين فيه ستاً من السَّحالي خلف الْمِرَشَّة[1]، فأحضريها إلي ..

---

(١) وهي وعاء تسقى به النباتات رشّاً. (المترجم)

ولما أحضرتها حولَّتها الإشبينة ستةً من الأتباع الذين ركبوا، في الحال، خلف العربة بثيابهم المزركشة، وتعلَّقوا بها وكأنهم لم يصنعوا في حياتهم شيئاً سوى ذلك .

قالت الساحرة لـــ (سندريلا) حينئذٍ :

- حسناً.. بمثل هذا ستذهبين إلى الحفلة.. فهل أنت مسرورة؟

فقالت :

- نعم .. ولكن هل سأذهب إليها هكذا .. بثيابي المهلهلة ؟

لم تصنع إشبينتها شيئاً سوى أنها لمستها بعصاها، فتحوَّلت ثيابها – في اللحظة ذاتها – ثياباً من قماش ذهبي وفضِّي مزركشٍ بالجواهر، ثم إنها أعطتها خفَّين من زجاج[1] verre، كانا أجمل خفَّين في العالم .

حين زُيِّنتْ (سندريلا) بهذه الصورة، وركِبَت العربة، أوصتها إشبينتها - وبإلحاحٍ - ألا يتجاوز بقاؤها في الحفلة منتصفَ الليل، لأنها إن بقيت فيها لحظةً واحدة بعد هذا الحدّ، فإن عربتها ستعود يقطينة كما كانت، كما أن أحصنتها ستعود فئراناً، وأتباعها سحالِيَ، وثيابُها سترجع مهلهلة كما كانت من قبل .

---

(١) انظر تعليقنا على مادة حذاء (سِندريلاّ)، إن كانت من الزجاج أو الفرو، آنفاً في: ص ٢٢ هـــ ا، حيث رجحنا أن تكون من فرو vair. (المترجم)

وعدت (سندريلا) إشبينتها بألا يفوتها أن تخرج من الحفلة قبل منتصف الليل، ثم انطلقت بعربتها ومرافقيها وهي لا تشعر بشيء من شدة الفرح .

أُخْبِر ابنُ الملِك أن أميرة عظيمة، لا يعرفها أحدٌ قد وصلت، فخَفَّ لاستقبالها، ومدَّ لها يده وهي تَنْزِل من العربة الفخمة، ثم سار برفقتها إلى البهو حيث كان الجميع، فساد فيه حينئذٍ صمْتٌ عميق، فقد كفَّ الراقصون عن الرقص، وتوقَّف عازفو الكمان عن العزف، وكان الحاضرون جميعاً حريصين على تأمُّل هذا الجمال الرائع الذي تتمتَّع به هذه الأميرةُ المجهولة. ولم يكن المرء يسمع غير أصوات مبهمة تقول :

- آهٍ .. ما أجملَها !

ولم يَسْأَم الملِكُ نفسُه، وهو الذي بلغ من العمر عتِيًّا، من النظر إليها وهو يقول للملكة بصوت منخفض إنه مرَّ عليه زمنٌ طويل لم يرَ فيه سيِّدة جميلة ورقيقة جداً بهذه الصورة .

وكانت النساءُ جميعاً حريصات على تفحُّص تسريحتها، والتدقيق في ثيابها كي يشترين في اليوم التالي مثلها، بشرط أن تتوافر في السوق أقمشة جميلة جداً وخياطون ماهرون .

أنزل ابنُ الملك تلك الأميرة في موضع التشريف، ودعاها من ثَمَّ إلى الرقص معه، فرقصت برشاقة تامة، وأُعْجِب بها الحاضرون أكثر. ونشأت بينهما أُلْفَةٌ رائعة جداً، إلى حد أن الأمير لم يذق شيئاً من الطعام في الحفلة، لأنه انشغل بتأمُّل الأميرة.

ثم إن هذه الأميرة ذهبت لتجلس بجانب الأختين، وقد أكرمتهما بأن قدَّمت لهما شطراً من البرتقال والليمون الذي قدَّمه لها الأمير نفسه، وقد أعجبهما ذلك كثيراً لأنهما لم تكونا تعرفان هذه الأميرة. سمعت (سندريلا) ، وهي منهمكة في الحديث معهما، الساعةَ وهي تدقُّ الحادية عشرة وثلاثة أرباع، فحيَّت الجميع فوراً بانحناءة كبيرة، ثم رحلت عن المكان بأقصى سرعة ممكنة .

بحثت (سندريلا) ، عند وصولها إلى البيت، عن إشبينتها وشكرتها، ثم قالت لها إنها تتمنى أن تذهب إلى الحفلة مرة

أخرى يوم غد، لأن ابن الملِك طلب إليها ذلك. وبينما كانت منهمكة مع إشبينتها في هذا الحديث عن كل ما جرى في الحفلة إذا بالأختين تطرقان الباب، فذهبت (سندريلا) لتفتحه وقالت لهما وهي تتثاءب وتفرك عينيها وتتمطَّى، وكأنها مستيقظة من النوم، مع أنها لم تكن ترغب فيه :

- لقد تأخرتما في العودة كثيراً ..

فردت إحداهما قائلة :

- لو كنتِ حضرتِ هذه الحفلة لما كنتِ مللتِ منها .. فقد حضرت إليها أجملُ أميرةٍ، بل هي أجمل ما رأت العينُ، وقد جاملتنا ألف مجاملة، وأعطتنا برتقالاً وليموناً ..

لم تكن (سندريلا) تشعر بشيء من شدة فرحتها بما تسمع منهما، ولكنها سألتهما عن اسم تلك الأميرة، فأجابتا بأنهما لم تكونا تعرفانها، حتى إن ابن الملِك نفسَه لم يعرف اسمها، وقد وعد بتقديم كل شيء لمن يعرف من تكون هذه الأميرة .

ابتسمت (سندريلا) وقالت لهما :

- إذن لقد كانت الأميرة جميلة جداً ؟! .. يا إلهي .. ما أسعدَكما ! ألا أستطيع أن أراها ؟ هيا يا آنسة (جافوت) Javotte أعيريني ثوبك الأصفر الذي كنتِ ترتدينه دوماً ..

ردت عليها (جافوت) قائلة :

- حقاً ! أنا من الرأي القائل : أعيري ثوبك لـــ (ساندريلا) القبيحة بهذا الشكل لتكوني مجنونة تماماً ..

لقد كانت (سندريلا) تتوقع هذا الرفض، وكانت فرِحة جداً به، لأنها كانت سترتبك ارتباكاً شديداً لو أنها وافقت على إعارتها ذلك الثوب .

وفي اليوم التالي ذهبت الأختان إلى الحفلة، كما ذهبت إليها بعدهما (سندريلا) وكانت أكثر زينة من المرة الأولى. ظلَّ ابنُ الملِك دوماً ملازماً لها، ولم تنقطع هي عن محادثته بلطف شديد، ولم تشعر بالملل، حتى إنها نسيت ما أوصتها به إشبينتها إلى أن سمعت الدَّقَّة الأولى لساعة منتصف الليل ، في الوقت الذي لم تكن تعتقد فيه أن الساعة قد بلغت الحادية عشرة بعدُ .. فنهضت بسرعة وانسلَّت من الحفلة مثلَ ظبية برشاقة متناهية .. وتبعها الأمير على الفور، لكنه لم يتمكن من إدراكها، غير أن أحد خفي الأميرة انخلع من رجلها، فالتقطه الأمير بعناية فائقة ..

وصلت (سندريلا) إلى البيت، وهي تلهث بشدة، بثيابها المهلهلة بلا عربةٍ ولا أتباعٍ .. ولم يبقَ لها من أُبَّهتها التي كانت عليها شيءٌ سوى فردةٍ واحدة من خُفَّيْها الصغيرين ..

سُئِل حراسُ باب القصر عما إذا رأوا أميرة تخرج منه، فذكروا أنهم لم يروا أحداً يخرج منه سوى صَبِيَّةٍ في ثيابٍ بالية وعليها ملامح فلاحة ..

سألت (سندريلا) الأختين، عندما عادتا من الحفلة، عما إذا كانتا قد استمتعتا جيداً فيها وعن تلك الأميرة إن كانت قد حضرت إليها، فأجابتاها بأنهما استمتعتا، وأن تلك الأميرة انسلَّت منها حين دقت ساعةُ منتصف الليل، وذكرتا أن أحد خفيها قد سقط من رجلها، وأنه كان أجمل خُفٍّ في العالم، وأن ابن الملك التقطه، ولم يصنع شيئاً في بقية الحفلة سوى النظر إلى هذا الخف الجميل، وأنه كان يبدو شديد الولع بهذه الأميرة الجميلة صاحبة الخفّ ..

لقد قالت الأختان الحقيقة، لأن ابنَ الملِك أعلن جِهاراً، بعد أيام قليلة، أنه سيتزوَّج من الفتاة التي تكون رجلها مناسبة للخفّ، وبدأ يقيسها على أرجل الأميرات، ثم أرجل الدوقات، وأرجل كل الفتيات في القصر، ولكن بلا طائل ..

ثم حُمِلَ هذا الخفّ إلى بيت الأختين اللتين حاولتا جاهدتين، وبكل الوسائل، أن تدخلا رجليهما في الخفّ، غير أنهما لم تتمكنا من ذلك .

كانت (سندريلا) تنظر إليهما، وقد عرفت خفَّها، فقالت وهي تضحك :

- هل يمكنني أن أرى إن كان الخفّ يناسب رجلي ؟!

طَفِقَتْ الأختان، حين سمعتا قولها، تضحكان عليها وتسخران منها، إلا أن الرجل المهذَّب الذي كان يقيس الخفَّ، نظر إلى (سندريلا) فوجدها جميلة جداً، فذكر أن مطلبها مُحِقّ وأنه مأمورٌ بأن يجرِّب الخفّ على أرجل كل الفتيات اللواتي يصادفهن .. ثم إنه أجلس (سندريلا) ، وأخذ يقيس الخف على رجلها، فدخلت رجلها فيه بسهولة وكانت على قدره تماماً .

اندهشت الأختان اندهاشةً عظيمة من ذلك، وزادت دهشتهما أيضاً حين أخرجت (سندريلا) من جيبها الفردة الأخرى لهذا الخفّ وأدخلت رجلها الأخرى فيها. وفي هذه اللحظة حضرت إشبينتها فلمست بعصاها ثياب (سندريلا) البالية فجعلتها أروع من الثياب الأخرى جميعاً ..

اعترفت الأختان، عندئذٍ، أنها الأميرة الجميلة التي كانتا قد رأتاها في الحفلة، فانكبَّتا على رجلَي (سندريلا) طالبتين العفو منها عن كل المعاملات السيِّئة التي جعلتها تعاني منهما، فأنهضتهما (سندريلا) وقالت لهما، وهي تعانقهما، إنها قد غفرت لهما من قلبٍ طيِّبٍ، ورجتهما أن تُحِبَّاها كثيراً دوماً .

ثم حُمِلَتْ (سندريلا) ، بعد ذلك، إلى قصر الأمير الشاب مزيَّنة كما كانت، فرآها أجمل أيضاً مما كانت عليه، وتزوَّج

منها بعد أيامٍ قليلة. وطلبت (سندريلا) – التي كانت طيِّبةً بقدر ما كانت جميلة – إلى الأختين أن تقيما معها في القصر الأميري، ثم إنها زوَّجتهما، في يوم واحد، من سيِّدين كبيرين من سادته .

* * *

١١

ريكيه ذو الشُّرَّابَة

Riquet à la houppe

(١)

كان في قديم الزمان ملِكةٌ وضعت طفلاً قبيحاً ومشوهاً جداً، حتَّى إن المرء ليشكُّ طويلاً في أن يكون له شكل آدمي. وقد أكَّدت جنيةٌ كانت حاضرةً عندما وُلِد أنه لن يلبث حتَّى يصبِح محبوباً، لأنه يملِك كثيراً من الذكاء، وأضافت أيضاً قائلة إنه سيكون قادراً، بفضل الموهبة التي منحته إياها، على أن يعطي كثيراً من الذكاء لتلك الفتاة التي سيحبُّها أكثر .

وقد عزَّى كلامُ الجنية هذا بعضَ التعزية الملكةَ المسكينة، التي كانت متألِّمة لأنها أتَتْ إلى هذا العالم بولدٍ دميمٍ جداً. علماً أن هذا الطفل لم يبدأ كلامه مبكِّراً حتى قال ألف شيء جميل، كما كان في كل أفعاله ما لا يُعْرَفُ من الروحانية التي كان المرء يندهش منها. وقد نسيتُ أن أقول لكم إن هذا الطفل جاء

إلى العالم بشُرَّابة شَعْرٍ صغيرةٍ في رأسه، ولذا أطلقوا عليه اسم (ريكيه ذي الشُّرَّابة) ، وكان (ريكيه) اسمَ عائلته .

(٢)

وبعد سبعة أعوام أو ثمانية، وضعتْ ملكةٌ في مملكةٍ مجاورةٍ طفلتين : كانت الأولى مجيئاً إلى العالم أجملَ من النهار، فكانت الملكة مسرورة جداً بها، حتَّى إنه كان يُخشَى عليها من أن تسبِّب لها الفرحةُ العارمةُ، التي شعرت بها نحوها، شيئاً من الألم. وكانت الجنيةُ، التي شهدت مولد الصغير (ريكيه ذي الشُّرَّابة) ، حاضرةً مولدَها، وقد أعلنت للملكة، كي تُعدِّل من فرحتها، أن هذه الأميرة الصغيرة لا تملك شيئاً من الذكاء، وأنها ستكون غبيةً جداً بقدر ما هي جميلة جداً ..

آلَمَ ذلك الملكةَ كثيراً، ولكن كان أمامها بعد لحظات غَمٌّ أعظم بكثير، لأن الطفلة الثانية التي وضعتها كانت في غاية القبح .

قالت لها الجنية :

- لا تأسفي كثيراً، يا سيِّدتي، فسوف تُعَوَّضُ ابنتُك هذه من جهة أخرى، لأنها ستكون ذات ذكاء خارق إلى حدٍّ أن المرء لن يلاحظ تقريباً أن الجمال ينقصها .

فردَّت الملكة قائلة :

- هذه إرادة الربِّ، ولكن أليس هناك وسيلةٌ لمنح الجميلة جداً شيئاً من الذكاء ؟

فقالت لها الجنية :

- لا أستطيع أن أفعل شيئاً لها من جهة الذكاء يا سيدتي، ولكني أستطيع كل شيء من جهة الجمال، وبما أنني أرغب في أن أفعل كلَّ شيء من أجل إرضائك، فلسوف أقدِّم لها هديةً هي أنها تستطيع أن تجعل كلَّ من يعجبها جميلاً .

(٣)

وكلما كبِرت هاتان الأميرتان كانت فضائلُهما تنمو معهما أيضاً، ولم يكن أحد يتكلَّم في أي مكان إلا عن جمال البنت الكبرى وذكاء البنت الصغرى. كما نمت أيضاً عيوبهما كثيراً مع تقدم السنّ، فأصبحت الصغرى أشد قبحاً في العيون، وأصبحت الكبرى أكثر غباء من يوم ليوم، فلم تكن تجيب بشيء عما تُسْأَل عنه، أو أنها كانت تجيب بشيء من الحماقة، وكانت أيضاً شديدة البلادة إلى درجة أنها لم تكن تستطيع أن ترتِّب أربعة صحون خزفية على حافَّة مدخنةٍ من غير أن تكسِر واحداً منها، ولم تكن تشرب كأسَ ماء من غير أن تُرِيْق نصفها على ثيابها .

ومع أن الجمالَ مَزِيَّة عظيمة عند الفتاة الشابة، فإن الصغرى كانت تتغلب على هذا الجمال دوماً تقريباً في كل الأماسي : ففي بداية الأمر كان الناس يذهبون ناحية الأخت الأجمل لينظروا إليها ويتمتَّعوا بجمالها، ولكنهم كانوا يذهبون بعد قليل إلى الأخت التي كانت تملِك القدر الأوفر من الذكاء ليسمعوها وهي تتكلَّم عن ألف شيء محبَّب، وكانوا يندهشون بعد ربع ساعة فقط من أن الكبرى (الجميلة) لم يكن قربها أحدٌ منهم، لأن الجميع كانوا يلتفون حول الصغرى (القبيحة). ومع أن الكبرى كانت غبية، إلا أنها كانت تلاحظ ذلك تماماً، وكانت تتمنى وبلا أسف لو أنها تهَب جمالَها كلَّه لتحصل على نصف ذكاء أختها. ولم تستطع الملِكةُ الحكيمة، كما كانت دائماً، أن تمنع نفسَها من لومها مراراً على حماقتها، وهذا ما كان يجعل الأميرة المسكينة تكادُ تموت ألماً .

(٤)

وانسلَّت الجميلة ذات يومٍ إلى الغابة لتشكو فيها تعاستها، فرأت رجلاً صغيراً قبيحاً ومُنفِّراً جداً، غير أنه كان يرتدي ثياباً فاخرة، وهو مقبلٌ نحوها. كان هذا الرجلُ هو الأميرَ الشابَّ (ريكيه ذا الشُّرَّابة) الذي أصبح عاشقاً لها منذ أن رأى صورَها التي كانت تنتشر في أيدي كل الناس، فغادر مملكة أبيه باحثاً عنها ليلقاها ويتمتع بالنظر إليها والحديث معها .

اقترب منها حين رآها بكل احترامٍ وأدبٍ يمكن تصوُّرُه، وفُتِن بها حين وجدها وحيدة. ولما لاحظ، بعد أن قدَّم لها المجاملات المعتادة، أنها كانت كئيبة جداً، قال لها :

- إنني لا أفهم أبداً، يا سيِّدتي، كيف يمكنُ فتاةً جميلةً جداً مثلَكِ أن تكون حزينة جداً، كما تَبدِينَ، وبما أنني أستطيع التباهيَ بأنني قد رأيتُ ما لا نهايةَ له من السيِّدات الجميلات، فإنني أقول لك : لم أرَ أبداً من يقتربُ جمالُها من جمالِك .

أجابت الأميرةُ وهي في مكانها :

- هذا ما يسرُّك قولُه يا سيدي ..

فردَّ (ريكيه ذو الشُّرَّابة) :

- إن الجمالَ مَزِيَّة عظيمة جداً ينبغي لها أن تحلَّ محلَّ باقي المزايا، وحين يملِكه المرءُ لا أرى أن هناك شيئاً يمكن أن يفجعه كثيراً ..

فقالت الأميرة :

- إنني أفضِّلُ أن أكونَ قبيحة جداً مثلَك وأمتلِكَ الذكاءَ على أن أكونَ غبيةً وأمتلِكَ الجمالَ كما هو شأني ..

فقال لها :

- لا شيء، يا سيِّدتي، يُثْبِتُ أن للمرءِ ذكاءً أكثر من أن يعتقد أنه لا يملِك هذا الذكاءَ، ومن طبيعة هذه النعمة أن مَنْ يمتلِكها أكثر يظن أنها تنقصه أكثر ..

فقالت الأميرة :

- لا أعرِف هذا، ولكني أعرف جيداً أني غبيةٌ جداً، ومن هنا يأتي الغَمُّ الذي يكادُ يقتلُني ..

فقال لها :

- إن لم يكن، يا سيدتي، ما يؤلِمُكِ غيرَ هذا، فأنا قادرٌ بيُسْرٍ أن أضع حداً لهذا الألم .

قالت الأميرة :

- وكيف يكون ذلك ؟

فقال له :

- إنني أملِك القدرة، يا سيِّدتي، على منح الذكاء للفتاة التي أحبها أكثر، مثلِك هنا، والأمر منوطٌ بكِ لتتالي ما تستطيعين أن تتالي من هذا الذكاء، لأن شرطَ ذلك أن تكوني راغبةً في الزواج مني ..

مكثت الأميرةُ ذاهلةً تماماً من قوله هذا ولم تُجِبْه بشيءٍ. فقال لها (ريكيه ذو الشُّرَّابة) :

- أرى أن هذا الاقتراحَ قد أزعجك، وأنا غير مندهش لذلك، وأنا أعطيك سنة كاملةً لتصلِي في الأمر إلى حلٍّ ..

(٥)

كانت الأميرة ضئيلة الذكاء، وكانت لديها في الوقت نفسه رغبةٌ عظيمةٌ جداً في أن تمتلك هذا الذكاء، وكانت تتصوَّر أن نهاية هذه السنة لن تأتي أبداً، إلى درجة أنها قبلت الاقتراح الذي عُرِض عليها. ولم تلبث أن وعدت (ريكيه ذا الشُّرَّابة) بأنها ستتزوجه بعد سنة من هذا اليوم، ووجدت سهولةً لا تُصَدَّق في أن تقول له كلَّ ما يَسُرُّه، وفي أن تقوله بطريقةٍ دقيقةٍ ويَسيْرةٍ وطبيعيَّةٍ.

وبدأت منذ هذه اللحظة بحديثٍ ظريفٍ ومتواصلٍ مع (ريكيه ذي الشُّرَّابة) ، وقد تألَّقَتْ بقوَّةٍ اعتقد معها أنه قد منحها قدراً من الذكاء أكبر مما كان قد احتفظ به لنفسه .

وحين عادت الأميرةُ إلى القصر لم يفكِّر كلُّ مَنْ كان فيه إلا في هذا التحوُّل المفاجئ والغريب جداً، لأن الناس صاروا يسمعونها وهي تذكر أشياءَ حكيمةً ومرِحةً لا حدود لها بقدر ما كانوا يسمعونها من قبل وهي تنطق بأمور حمقاء، وقد فرحوا جميعاً بها فرحاً لا يمكن تصوُّرُه، ولم يكن في القصر مَنْ لم يرتح لذلك سوى أختها الصغرى، لأنها لم يعد لها فضلٌ عليها في الذكاء، ولم تكن تبدو إلى جانبها سوى فتاةٍ قبيحةٍ تعيسةٍ جداً.

كان الملِك يتصرَّف وَفْقَ رأيِه، وكان يذهب أحياناً إلى جناحه لتلقِّي المشورة، وقد انتشرت ضجَّةُ هذا التغيير، وبذل جميعُ

أمراء الممالك المجاورة جهوداً عظيمة ليحظوا بحبِّ هذه الأميرة، وقد طلبها الجميع تقريباً للزواج، غير أنها لم تجد فيهم مَنْ يملِك قدراً كافياً من الذكاء، وكانت تستمع إليهم جميعاً من غير أن ترتبِط بواحد منهم .

وفي هذه الأثناء، جاءها أميرٌ منهم قويٌّ جداً، وغنيٌّ جداً، ومرِحٌ جداً، وحسَنُ الخَلْقِ جداً، إلى حدٍّ أنها لم تكن تستطيع أن تمتنع عن قبوله. ولما رأى أبوها ذلك قال لها إنه سيجعل منها سيِّدَةَ اختيارها للزوج، وما عليها إلا أن تبدِيَ رأيَها في ذلك. ولما كانت ذكيةً جداً، ووجدت مشقَّةً في اتِّخاذ قرارٍ حاسمٍ بشأن هذه القضية، فقد طلبت من أبيها، بعد أن شكرته، أن يعطيَها بعضَ الوقتِ للتفكير في ذلك .

ثم إن الأميرة ذهبت بالمصادفة للتنَزُّه في الغابة نفسها التي التقت فيها (ريكيه ذا الشُّرَّابة) حتَّى تفكِّر بهدوء فيما تفعل. وبينما هي تتنَزَّه وتفكِّر بعمقٍ سمعتْ ضجيجاً خافتاً تحت قدميها، وكأن أناساً كثيرين يغدون ويروحون ويعملون، ولما أصاخت بسمعها بانتباه زائد سمعت أحدَهم يقول :

- ناولني تلك القِدْر..

وآخرَ يقول :

- أعطِني ذلك المِرْجَل ..

وثالثاً يقول :

- ضع حطباً في النار ..

ثم انشقت الأرض في هذه الأثناء فرأت تحت قدميها شيئاً كأنه مطبخ كبير مليء بالطباخين وغاسلي الصحون، وبكل أنواع الخدم اللازمين لصنع وليمة فاخرة. وخرج من هناك جماعةٌ تقدَّر بعشرين أو ثلاثين من الشوَّائين، وذهبوا ليعسْكِروا حول مائدة طويلة جداً في ممرٍّ بالغابة، وشرعوا جميعاً في العمل بانتظام على صوتِ أغنية متناسقة، وفي يدِ كلٍّ منهم سَفُّودٌ[1] وعلى أذنه ذيلُ ثعلبٍ. فسألتهم الأميرةُ المندهشة من هذه المشاهد لِمَنْ كانوا يعملون ذلك، فأجابها أبرزُ مَنْ في هذه الجماعة قائلاً :

- إننا، يا سيدتي، نعمل للأمير (ريكيه ذي الشُّرَّابة) الذي ستقام احتفالات زواجه يومَ غدٍ ..

فوجئت الأميرةُ أكثر من ذي قبل، وتذكَّرت فوراً أنها منذ سنةٍ، وفي مثل هذا اليوم، وَعَدتِ الأميرَ (ريكيه ذا الشُّرَّابة) بأن تتزوج منه، فسقطت من طولها .

وما جرى هو أنها لم تكن تتذكَّر، لأنها حين قطعت هذا الوعد على نفسها كانت غبية، وحين حصلت على ذكائها الجديد

---

(١) السَّفُّود : هو السِّيْخُ الذي يشكّ به الشِّواء فوق النار. (المترجم)

من ذلك الأمير كانت قد نسيت كلَّ حماقاتها. ولم تكد تمشي ثلاثين خطوة، وهي تواصل نزهتَها، حتَّى ظهر لها (ريكيه ذو الشُّرَّابة) شجاعاً ذا أُبَّهَةٍ كأميرٍ ذاهبٍ إلى عُرسِه، فقال لها :

- أنتِ ترين، يا سيِّدتي، أنني دقيقٌ في التمسُّكِ بكلمتي، ولا أشكُّ أبداً في أنكِ قد جئتِ إلى هنا لإنجاز وعدك، لتجعليني أسعد الناس جميعاً بمنح يدكِ لي ..

فردَّت عليه الأميرةُ قائلة :

- أعترف لك بصراحة بأنني لم أتَّخِذْ قراري بعدُ، ولا أعتقد أنني أستطيع اتِّخاذَه كما تشتهي ..

فقال لها :

- أنتِ تدهشينني يا سيِّدتي ..

فقالت الأميرة :

- وأنا أعتقد ذلك أيضاً، ومن المؤكَّد أنني إن كنتُ سأرتبط برجلٍ فَظٍّ ومفتقرٍ إلى الذكاء فسأكون متضايقةً جداً.. ستقول لي: ليس للأميرة سوى كلمتِها، ويجب أن تتزوجي بي، لأنك كنتِ قد وعدتِني بذلك. ولكن بما أنَّ مَنْ أتحدَّثُ إليه هو أذكى رجلٍ في العالم، فأنا متأكِّدةٌ من أنه سيفهم سبب رفضي إياه .. إنك تعلَم أنني لم أكن قادرة، حين كنتُ غبيةً، على أن أقرِّرَ الزواج منك : فكيف تريد مني، حين امتلكتُ الذكاءَ الذي منحْتَنِي إياه، وجعلني

أصعبَ تطلُّباً مما كنتُ عليه، أن أتَّخذ اليومَ قراراً لم أكن لأستطيع أن أتَّخذَه في ذلك الوقت ؟ وإذا كنتَ الآن تفكِّر تفكيراً جادَّاً في الزواج مني، فقد كان من الخطأ الجسيمِ أن تنتزِعَ مني غبائي وتجعلَني أرى بوضوح أكثرَ مما كنتُ أرَى ..

فردَّ عليها (ريكيه ذو الشُّرَّابة) قائلاً :

- إذا كان هناك ترحيبٌ برجلٍ لا ذكاء عنده، كما قلتِ للتوِّ، فأنت تُلامين على نقضِكِ الوَعْدَ : فلماذا تريدين، يا سيِّدتي، ألا أستعمله أيضاً في شيءٍ فيه سعادةُ حياتي كلِّها ؟ وهل من الصواب أن يكون من يمتلِكُ الذكاءَ في حالةٍ أسوأ ممَّن لا يمتلِك شيئاً منه ؟ هل يمكنكِ أن تدَّعي ذلك وأنتِ تملكين منه الكثير .. بعدما كنتِ تتمنَّيْنَ أن تملكي شيئاً يسيراً منه ؟ ولكن لِنَعُدْ إلى الواقع : قولي لي، من فضلِك، هل تجدين فيَّ شيئاً ما يَسُوؤُكِ سوى قُبْحِي ؟ وهل أنتِ تَعِسَةٌ بمولدي أم بذكائي أم بطبعي أم تصرُّفي ؟

أجابت الأميرة قائلة :

- إطلاقاً .. إنني أحبُّ فيك كلَّ ما ذكرتَ لي ..

فردَّ عليها بقوله :

- إن كان الأمرُ كذلك، فسأكون سعيداً، لأنك تستطعين أن تجعلي مني أجمل الناس جميعاً ..

قالت له الأميرة :

- وكيف يكون ذلك ؟

فأجابها قائلاً :

- يكون ذلك إذا أنتِ أحببتِني بما فيه الكفاية وأنتِ تتمنَّين أن يتمَّ ذلك لي .. واعلمي، كي لا يداخلَك الشكُّ في ذلك، يا سيِّدتي، أن الجنيَّةَ نفسَها التي أهدتني، يومَ مولدي، القدرةَ على جعلِ مَنْ تُعْجِبُني ذكيَّةً، قد أهدتكِ أيضاً، يوم وُلِدْتِ، القدرةَ على جعلِ مَنْ تحبينَه جميلاً، وجعلِ مَنْ ترغبينَ في إسداء هذا المعروف له جميلاً أيضاً ..

فقالت الأميرة :

- إن كان الأمرُ كذلك، فإنني أتمنَّى من كلِّ قلبي أن تصبح أجمل أمير وأظرف رجل في العالم، وسأقدِّم لك هذه الهدية بقدر ما يكون ذلك ممكناً ..

(٦)

ولم تكَدِ الأميرةُ تتفوَّه بهذه الكلمات حتَّى بدا الأميرُ (ريكيه ذو الشُّرَّابة) في عينيها الرجلَ الأجملَ والأفضلَ خَلْقاً، والأظرفَ في العالم .. وقد أكَّد بعضُهم أن هذا التحوُّل جرى لا بفضلِ سحر الجنيَّةِ، وإنما بفضل الحبِّ وحده .. وقالوا : إن الأميرة التي

فكَّرت في مثابرة عاشقِها ورصانته وفي كلِّ المزايا الطيِّبة لروحه وذكائه لم تعد ترى بشاعةَ شكله، ولا قبحَ وجهه .. حتَّى إن حَدْبَتَه لم تبدُ لها سوى المظهرِ الطيِّبِ للرجل الذي يملِك ظهراً ضخماً، وبدلاً من أن تراه حتَّى ذلك الحينِ يعرُجُ باضطراب، لم تجِد فيه سوى نوعٍ من الشكل المائل الذي يفتِنها .. وقالوا أيضاً : إن عينيه اللتين كانتا حَوْلاوين لم تكونا تبدوان لها إلا أكثر بريقاً، وكان عدمُ انتظامهما يَظْهَرُ في نفسِها دليلاً على الإفراط العنيف في الحبّ، وكان في أنفِه الأحمرِ الضخمِ، أخيراً، بالنسبة لها، شيءٌ ما من العُنْفُوَانِ الحربيِّ والبطولةِ ..

وأياً ما كان الأمر، فإن الأميرة وعدته في الحال بأن تتزوَّج منه، بشرط أن يحصل من أبيها الملِك على الموافقة.

قَبِل الملك أن يكون الأمير (ريكيه ذو الشُّرَّابة) صهراً له، لأنه عرف أن ابنته كانت تُكِنُّ له تقديراً عظيماً، ولأنه كان يعرف أيضاً أنه أميرٌ مرِحٌ وعاقلٌ جداً .

وأقيمت في اليوم التالي احتفالات العُرْس كما توقَّعها (ريكيه ذو الشُّرَّابة) ، وتَمَّتْ حسبَ التعليمات التي أصدرها منذ زمن طويل جداً قبل ذلك .

* * *

المترجم في سطور

- **د. محمود فارس المقداد**: ولد في مدينة بصرى (بمحافظة درعا) سنة ١٩٥١. تخرج في قسم اللغة العربية بجامعة دمشق سنة ١٩٧٤/٧٣. حاز دبلوم الدراسات العليا الأدبية سنة ١٩٧٥/٧٤. وعيّن معيداً في قسم اللغة العربية بجامعة دمشق سنة ١٩٧٨، وحصل على الماجستير فيه سنة ١٩٨٢ وعلى دكتوراه الدولة فيه أيضاً سنة ١٩٨٦. ويعمل الآن أستاذاً مساعداً في كلية الآداب الثالثة (فرع درعا) بجامعة دمشق.

أعمال أخرى للمترجم

١- **الموالي ونظام الولاء** (من الجاهلية إلى أواخر العصر الأموي) (دراسة) – دار الفكر بدمشق، ط١، ١٩٨٨ .

٢- **قواعد تحقيق المخطوطات العربية وترجمتها** (وجهة نظر فرنسية) لريجيس بلاشير (Régis Blachère) وجان سوفاجيه (Jean Sauvaget) (ترجمة عن الفرنسية) – دار الفكر المعاصر ببيروت ودار الفكر بدمشق، ط١، ١٩٨٨ .

٣- **تاريخ الدراسات العربية في فرنسا** (دراسة) – سلسلة (عالم المعرفة) بالكويت، العدد ١٦٧، ١٩٩٢ .

٤- **مختارات من الأدب في صدر الإسلام** (قسم النصوص النثرية) (بالمشاركة مع د. حسين جمعة : قسم النصوص الشعرية) – منشورات جامعة دمشق، ط١، ١٩٩٢ (ط٥، ٢٠٠٥).

٥- **قراءات في أدب العصر الأموي** (محاضرات في النثر الأدبي العربي) – منشورات جامعة دمشق، ط١، ١٩٩٢ .

٦- **تاريخ الترسل النثري عند العرب** (في الجاهلية) (دراسة) – دار الفكر المعاصر ببيروت ودار الفكر بدمشق، ط١، ١٩٩٣ .

٧- **تاريخ الترسل النثري عند العرب** (في صدر الإسلام) (دراسة) – دار الفكر المعاصر ببيروت ودار الفكر بدمشق، ط١، ١٩٩٣ .

٨- **تاريخ الترسل النثري عند العرب** (في العصر الأموي) (دراسة) – مكتبة الفرسان بالجهراء (الكويت) ، ط١، ١٩٩٧ .

٩- **ديوان محمود المقداد** (مجموعة ما تبقّى من أشعاره من سنة ١٩٧٠ إلى سنة ٢٠٠٣)– دار العودة ببيروت، ط١، ٢٠٠٤.

١٠- **ابن قتيبة الدينوري** (أديب الفقهاء وفقيه الأدباء) (وجهة نظر غربية) لجيرار لوكونت (Gérard Lecomte) (ترجمة عن الفرنسية) – منشورات وزارة الثقافة بدمشق، ط١، ٢٠٠٦ (صدر بمناسبة احتفالية حلب عاصمة للثقافة الإسلامية) .

١١- **الإلهام وفن الشعر عند أمير الشعراء أحمد شوقي** (وجهة نظر فرنسية) لأنطوان بودو-لاموت (Antoine Boudot-Lamotte) (ترجمة عن الفرنسية) – منشورات مؤسسة

جائزة عبد العزيز سعود البابطين للإبداع الشعري بالكويت، ط١، ٢٠٠٦ (صدر بمناسبة انعقاد دورة شوقي – لامارتين بباريس في أوائل خريف ٢٠٠٦) .

١٢- **الأدب في بلاد الشام في صدر الإسلام (الشعر والنثر)** ضمن كتاب : **الحركة الأدبية في بلاد الشام**، الجزء الأول (التأريخ)، ص١٠٣-١٦٦. **ونصوص مختارة من الأدب ببلاد الشام في صدر الإسلام**، ضمن : م. س.، الجزء الثاني (المختارات) ، ص٥٧-٨٦، وقد صدرا معاً بمناسبة احتفالية دمشق عاصمة للثقافة العربية عام ٢٠٠٨، دمشق، ٢٠٠٨ .

١٣- **الرقص أمام المرآة** (مسرحية من ثلاثة فصول) للكاتب الفرنسي فرانسوا دو كوريل (François de Curel) : سلسلة (من المسرح العالمي) ، الصادرة عن المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب بالكويت، العدد الرابع عشر، الطبعة الأولى، آذار (مارس) ، ٢٠١٠ .

١٤- **المدعوَّة** (مسرحية من ثلاثة فصول) للكاتب الفرنسي (فرانسوا دو كوريل) : سلسلة (من المسرح العالمي) ، الصادرة عن المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب بالكويت، العدد (٣٦٢)، نوفمبر (تشرين الثاني) ، ٢٠١٢.

المحتويات

الصفحة

مقدمة المترجم ٥

نبذة عن المؤلِّف..... ١٥

١- غريزليدس..... ٢٣

٢- الأماني التافهة ٨٩

٣- جلد الحمار ١٠١

٤- اللحية الزرقاء ١٤٣

٥- الجميلة في الغابة النائمة ١٥٥

٦- السيِّد القط (أو القط ذو الجزمة)..... ١٧٣

الصفحة

٧- القبَّعة الصغيرة الحمراء ١٨٣
٨- الإبهام الصغير ١٩١
٩- الجنِّيّات ٢١١
١٠- سندريلاّ ٢١٩
١١- ريكيه ذو الشُّرَّابَة ٢٣٥
المترجم في سطور ٢٤٩
أعمال أخرى للمترجم ٢٥١
المحتويات ٢٥٥

الطبعة الأولى / ٢٠١٤م
عدد الطبع ٢٠٠٠ نسخة

هذا الكتاب

لكل شعب من شعوب العالم حكايات خرافية وأساطير يتداولها الناس البسطاء في سهراتهم، ويحكيها الكبار عند تهويمات الصغار للنوم، وهي تنتشر وتُروى مشافهة بطبيعة الحال، وهذه الحكايات والأساطير تحتوي على كثير من الدروس والعبر التربوية التي تؤثر في سلوك الصغار، ويرافقهم تأثيرها حتى نهاية أعمارهم، ذلك لأنها تغرس في نفوسهم مجموعة من القيم التي تنفعهم في حياتهم، وتقوم اعوجاج تفكيرهم نحو الأفضل، وقد بدأ كثير من الأدباء والشعراء، ومنهم أسماء كبيرة ولامعة، يهتمون بتتبع الحكايات الشعبية وتدوينها، كي يحفظوها للأجيال التالية من الضياع، وكان العرب حريصين منذ نهضة الأمة العربية في القرون الهجرية الأولى على تدوين كثير من هذا التراث الشفوي، حتى بلغ ذروته في قصص (ألف ليلة وليلة) التي دوخت الشعراء والفنانين التشكيليين والفلاسفة والموسيقيين والكتاب على مستوى العالم إثر ترجمتها الفرنسية سنة ١٧٠٤م على يد المستعرب (أنطوان غالاَن) A.Galland، فألهمتهم أعمالاً خالدة، وارتقت بفنونهم السردية إلى أعلى مستوى، ولكن العرب في العصر الحديث قصروا كل التقصير في تدوين ما كانت جداتنا ترويه لنا ونحن صغار، فضاع منه الكثير ولم يحفظ منه إلا القليل، وربما أمكنت الفرصة الجيل الحالي لتدارك هذا الأمر المهم، وقد عمد الكاتب والشاعر الفرنسي شارل برو (١٦٢٨-١٧٠٣م)، في العصر الذهبي للأدب الفرنسي، عصر الملك لويس الرابع عشر، حامي الأدباء والشعراء والفنانين والعلماء والفلاسفة، إلى تدوين مجموعة من الحكايات التي سمعها في حياته، وربما أعاد صياغة بعضها شعراً وأغناها بخياله الخصب، أو ألف بعضها الآخر تأليفاً نثرياً مؤثراً وجميلاً، ونرجح أنه سمع الحكاية الشعبية اليمنية (وَرِيقَة الحناء) من بعض الرحالة الفرنسيين، فكانت أصلاً لحكاية (سندريلا) التي جابت العالم أجمع، فكان للعرب فضل في ذلك، وقد ترجمت مجموعة هذه الحكايات إلى لغات كثيرة في القرنين ١٨ و١٩، فدفعت الكتاب إلى السير على طريقة (برو) في جمع تراثهم الشعبي من الحكايات.

www.syrbook.gov.sy
E-mail: syrbook.dg@gmail.com
هاتف: ٣٣٢١١٦٤
مطابع الهيئة العامة السورية للكتاب، ٢٠١٤م

سعر النسخة ١٠٠ ل.س أو ما يعادلها